محمد البايك

مكة مهوى أفئدة المغاربة وقبلة المسلمين



بعناية :

مليكة الصوايني

عبد الرحيم احمايمو   عبد الغني فاضل

مكة مهوى أفئدة المغاربة

وقبلة المسلمين

محمد البايك

مكة مهوى أفئدة المغاربة وقبلة المسلمين

بعناية:

مليكة الصوايني

عبد الرحيم احمايمو

عبد الغني فاضل


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي القارئ:

خطوات خالدة للمغاربة
من وإلى الحرمين

هـذه خطـوات مـن أزكـى خطـاي في تلـك العرصـات وبـين أولئـك السـالفين والمتلهفات، إلى معانقة هذه الديار والعرصات، والآيات البينات، في زحام واختلاط، وتدافع وسعي وخبب وهرولة وانصباب وصعود ومشقات، وأفراح وأشواق وأوجاع وأوصاب وشفاء وخفة حمل رغم الاثقال عبر قرون وبلدان وقارات، وأسمية وأرضين وأمواج وبحار وصحارى معطشة، ولصوص يهبون من كل الفجاج، يقطعون الطريق وينهبون القوافل ويتخطفون بعض الحواج تبركا زعموا؛! وفي وسط ذلك كله رجال ونساء محصتهم الأحداث، فلم تنل من عزائمهم الربانية، بل زادتهم صقلا وتنويرا، وحركت ألسنتهم وأفئدتهم وأبصارهم بتسبيح الخالق وتحميده وتوحيده ومشاهدته في النفوس والأناسي والخليقة؛ فأفاضوا علينا حجاجا ومعتمرين من بركاتهم، وغسلونا بماء زمزم تارة، وماء الكوثر أخرى، وخضخضونا بين الصفا والمروة بعد أن أداورونا بسرعة التسبيح والتهليل والتكبير في الأشواط سبعا وسبعا وسبعا، ثم قضوا تفثنا عند صخيرات المروة، وألبسونا بعد الاحرام الثياب السوابغ، وصعدونا إلى منى للتزود بالروايا، وطاروا بنا إلى وادي عرنة فقطعناه، متجردين حفاة شبه عراة، ثم تعرضنا وأضحينا لشمس جبل عرفات، ورفعنا أذرعنا وأكفنا بعد الصلوات والخطب إلى السماء جائرين طالبين فك الرقاب، فنظر إلينا الرب نظرة إعجاب واشفاق رغم الحالة المهلهلة، والرؤوس الشعثاء، والأجساد الغبراء، فأعتقنا وقد نلنا الجائزة، وفُكت رقابنا من النار فكا، وانصببنا فرحين إلى المزدلفة ليلا ساجيا عليلا، والتقطنا الجمرات استعدادا للخلاص من

ذلك التابع الموسوس الخناس، وأفضنا مع أهل مكة من حيث أفاض الناس، وانتظرنا على جبل قزح علامة الشروق والابتهاج، واندفعنا للجمرات، بين الجبلين المأزمين، ورمينا من أعماق الكيان في تدافع ورغبة، تلك الحصيات خطايانا ووساوسنا وخواطرنا الشريرة، على وهدة الحسرة والندامة، مما صدر منا أو أخفيناه، وتجردنا محلين مما طُوقنا به من احتياطات، وحلقنا تلك الشعيرات إقلاعا لكل ما تحتها من الخطرات، وقدمنا القربان ليفدينا من غضب الرحمان، ولم يبق إلا تأكيدُ تلك الطوافات، بطواف جديد، نوعي فريد.

ثم فاضت بنا الركاب، بعد أن قضينا من منى كل الحاجات، والمناسك والرغبات، فذكرنا الله الذي يسر لنا كل أمر عسير، وسهل لنا التخلص من كل شيء خطير، وأُبنا إلى الديار، وعيوننا مشرقة فرحة رغم التعب والسهر والمشقات، وفقدان أرطال من أوزان أجسامنا وآثامنا، فاستقبلنا الأهل والبلد، متبركين متمسحين، فأسقيناهم مما احتفظنا به من ماء زمزم، وإن لم نجد من ماء البلد، بعد أن ناديناه باسم زمزم.

ولم نلبث إلا أشهرا حتي مسحنا كل تلك المشقات، وعادت بنا الأشواق إلى تلك العرصات، فسبحان من محصنا تمحيصا ثم أعادنا إلى الأوكار، لمعانقة الأهل والديار، ثم أيقظ منا بعد ذلك الأشواق، وحرك فينا ذلك الحنين المتجدد من جديد.

ولما لم نجد إلا القلم والمداد، أودعنا هذه القراطيس، بعضَ ذلك الامداد، عسى أن يقرأنا بعد المغادرة إلى أجداثنا، كل مشوق مستهام، فيبعث لنا من دعواته المتقبلات، أو صدقاته المقربات، أو قراءاته بعض الآيات، من سورة الإخلاص المنجيات، إحدى عشرة مرة من تلك القراءات.

محمد البايك

إرتسامات الحاجة
المغربية المراكشية مليكة الصوايني

تقول السيدة مليكة الصوايني متحدثة عن نفسها وكيف أحبت خدمة الحجاج وتعلقت بالحرمين وبأرض الحجاز ما بين حجة وعمرة أكثر من عقد من الزمن:

أنا أمة الله الضعيفة مليكة الصوايني، وقد اختارني الله واصطفاني لخدمة حجاج بيت الله ومعتمريه منذ سنة 2008.

وقد ولدت في أسرة متواضعة بمراكش ومحبة لرسول الله ﷺ وللتكثير من ذكر الله منذ نعومة أظفاري، وأنا أسمع أنواع التهليل والصلاة والذكر وقراءة القران تطرب مسامعي منذ صغري، وهذا الفضل راجع لوالدي رحمة الله عليهما، وأنا أم لأربعة أبناء، وقد أفنيت شبابي في تربيتهم ليكونوا نافعين لمجتمعهم ووطنهم.

وكان زوجي صالحا ولله الحمد، إلا أن الله اختاره وتوفاه سنة 2007 وكانت قاسية علي وعلى أولادي، فأبدلني الله تعالى بذلك تأطير حجاج ومعتمري بيت الله بعد ذلك، وكانت مهمتي لا تنحصر في الارشاد التقني والديني فقط، بل أسبغ على ذلك من ألوان العطف والحدب ما يتجاوز مهمتي، فقلما يمرض أحد من الحجاج والمعتمرين إلا ويجدني مصاحبة له إلى المستشفى، وإذا تاه حاج أو حاجة جمعت همتي مفتشة عنه في كل مكان ليرجع إلى رفاقه بصحة وسلامة.

ومن كرم الله علي أنني أتولى أيضا مواكبة حافلات المناسك، فأدل السائق على الطريق المناسب لمعرفتي الجيدة بتلك الفجاج، فالحمد لله الذي يسر لي وأكرمني بخدمة ضيوف الرحمان، فقطعت مسافات من المغرب وعبر مكة والمدينة وجدة، أرجو بذلك سلوا عن زوجي وعن أبنائي الذين خلفتهم بالمغرب.

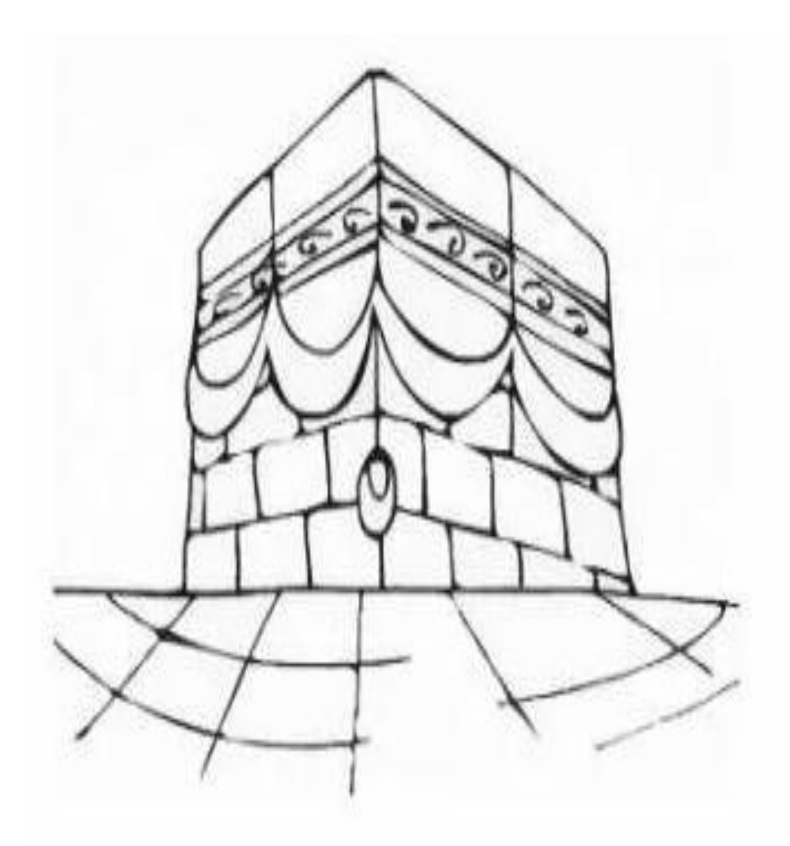
وأصبحت بعد ذلك أشعر بالسعادة وأنا أطوف بالحجاج والحواج وأسعى بهم وأسقيهم وأقف بعرفة معهم وأنزلهم بالمزدلفة صبورة على التعب والجوع وقلة النوم، وكل همي الوحيد أن يرتاحوا ويسعدوا ويقضوا مناسكهم على أحسن ما يرام، مع مد يد المساعدة التقنية إليهم: من إسكان وتفويج في منى ومزدلفة وعند الجمرات كذلك.

وبمرور الأيام، وبمساعدة المجلس العلمي المحلي لمدينة مراكش في إطار الخلية المكلفة بشؤون المرأة وقضايا الأسرة، أدركت من الناحية الفقهية ما ينبغي للحجاج والحواج أن يتزودوا به من أخلاق ومناسك، وأن ينتبهوا إليه في مآكلهم ومشاربهم؛ واعظة لهم موقظة لقلوبهم، محيية لضمائرهم، وقد حصلت نتيجة لهذه الجهود على شهادات تقديرية من :

- ✓ وزارة الحج في المملكة العربية السعودية.
- ✓ ووزارة النقل المغربية.
- ✓ ووزارة السياحة المغربية.

وأرجو أن أكون نموذجا للمرأة المخبتة الصالحة المؤثرة في الجميع؛ سواء من حيث المعاملة أو الاخلاص أو التفاني، متمنية أن أكون رمزا للفضيلة والأخلاق السامية والأدب مع الله وحجاجه ومعتمريه، شاعرة بالمسؤولية التي أشعر بأن الله عز وجل سيحاسبني عليها، وهو الرقيب والحافظ لي والملهم في جميع خطواتي .

أول بيـت وضـــع للنـــــاس



﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[1]

---

[1]. سورة آل عمران. الآية: 97.

أ- "والذي نفسي بيده، ليُهلَّنّ ابنُ مريم بِفَجّ الرّوْحاء، حاجّا أو مُعْتمرا، أو لَيَثْنِيَنَّهما"[1].

ب- "صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا، منهم موسى، كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطوانيتان[2]، وهو محرم على بعير من إبل شنوءة، مخطوم بخطام ليف له ضفران"[3].

ت- ... يا رسول الله ألا نخرج فنجاهد معك فإني لا أرى عملا في القرآن أفضل من الجهاد قال لا ولكن أحسن الجهاد وأجمله، حج البيت، حج مبرور[4]؛ خلافا لمن استثنى هودا وصالحا.

---

[1]. صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، باب إهلال النبي صلى الله عليه وسلم حديث: **216** و (فجّ الرّوحاء): مكان بين مكة والمدينة، وكان طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع. (أو ليثنيّهما) معناه قرن بينهما وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان.

[2]. قصيرتان بيضاوان وكُمّاهما قصير.

[3]. الطبراني (ت **360**هـ) في: المعجم الأوسط، من اسمه محمد حديث: **5407** ، وقال: "لم يرو هذا الحديث عن عطاء بن السائب إلا محمد بن فضيل. والمستدرك عن الصحيحين كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء حديث: **4169**، قال عنه في السلسلة الصحيحة حسن.

[4]. أورده النسائي عن عائشة رضي الله عنها، "فضل الحج" حديث: **2628** والحديث صحيح.

تحولات ومواقف ومخاطبات



مشهد بمكة لباني الاستقلال الملك الشريف الينبوعي

الحسن بن محمد بن الحسن الله وليه

موقف وخطاب لصاحب رواء مكة حسن أوريد:

"وأتممت الحج ..

كانت الكعبة المشرفة لقاء ..

لقاء مع ذاتي ..

كان طوافي بحثا ..

ولما أن فرغت سعيت ..

وبعد السعي، انزويت جانبا ..

أنظر إلى ما حولي ..

وأتملّى حياتي ..

لقد كان لحجّي ألا يكون إلا شعيرة؟! ..

وفجأة، نعم، كماءٍ ..

يتفجر من الأعماق تحوّل رَواءً[1] انبجس من داخل نفسي ..

كنت أشرب من ماء زمزم من كوب من ورق مقوّى ..

وأنا أنظر إلى جموع الساعين يمشون في رفق، ثم ما يلبثون أن يهرولوا

هل لكل ما أرى معنى؟ .. وفجأةً ..

وقفت، وأنا أردد: "بلى.. وهل الحياة إلا تلبية لنداء الله.. له وحده لا شريك له.."[2].

---

[1]. الرواء: الماء الكثير العذب.

[2]. حسن أوريد، رواء مكة. هو: كاتب وأديب مغربي، حائز على جائزة بوشكين للآداب من اتحاد كتاب روسيا، سنة 2015م. من أعماله الأدبية: "ربيع قرطبة"، "الموريسكي"، "سيرة حمار"، "الأجمة"، "رباط المتنبي". ومن كتبه الفكرية: "أفول الغرب"".


مكتبة اليسر
books.yossr.com
رواء مكة
حسن أوريد
سيرة روائية

موقف وخطاب لصاحب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار:

صدق لسان الدين ابن الخطيب السليماني حين أنشد مؤملا أن يكتب الله له جوارا لرسوله ولمكة وهو في حالة يعيشها بين الأندلس والمغرب لا تسر عدوا ولا تفرح صديقا قائلا:

جـــوار رســـول الله مجـــد مؤثـــل وقـــد يـــدرك المجـــد المؤثـــل أمثـــالي

وهكذا عبر عن لسان المغاربة عبر تاريخ جوارهم في الحجاز لمدة قرون وقرون وقد اكتسبوا من المجد الأصيل بهذا الجوار ما تمنى ابن الخطيب أن يدركه رغم الظروف المعاكسة.

وحقا فقد هوت أفئدة المغاربة منذ أن عرفوا حلاوة الايمان وذاقوا محبة الرسول وصحابته والحرمين؛ إلى تلك الربوع زائرين أو مجاورين مؤقتا أو مقيمين مرابطين، وكانت مدة الجوار عند الكثيرين تزيد عن عقدين، ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع، بعد توفر الظروف والأمن والقدرة على هذا الجوار، والتمكن من ذلك في الاقامة بأماكن معينة خصصت لأمثالهم، ففاق عددهم بعد ذلك المئات، وكتب الله لبعضهم الوفاة هناك إما مجاورا للحرمين، أو مختارا للإقامة بأحدهما.

ومنهم من جاور مدة متقطعة بحسب ظروف سفره وإمكاناته، حتى إنهم كونوا أسرا تدل ألقابهم اليوم على تلك الأصول.

وقد حافظوا غالبا على سلوكهم الديني وثوابتهم الاعتقادية، رغم تغير الظروف والأناسي والميولات الاعتقادية والمذهبية: من اعتناق للمذهب المالكي في الفقه،

والعقيدة الأشعرية في الأصول، والتصوف الجنيدي في السلوك، دون أن يمنع ذلك من تحولات اقتضتها الظروف القاهرة وغيرها.

وكانت هذه المجاورة تتطلب الاستقرار في أماكن تتيح الفرص لتحقيق هذا الجوار دون مضايقات؛ فوجدوا في مؤسسات الوقف الخيرية خير ملجأ: من ربط للعبادة ومدارس للعلم وغيرها.

ومن هذه الربط مثلا رباط أم الخليفة الناصر العباسي المشيد عام 579 والمعروف برباط العطفية.

وكذلك رباط ربيع الموقوف سنة 594 من قبل ابن الناصر صلاح الدين المسمى بالأفضل الأيوبي وذكره ابن بطوطة في تحفة النظار.

ومن تلك الأربطة رباط موفق جمال الدين السكندري عام 604 وورد أيضا ذكره عند صاحب تحفة النظار.

أما المدارس:

فيذكر منها مدرسة ابن الحداد المهدوي، ومدرسة المنصورية لعمر ابن علي المنصور صاحب اليمن[1].

وإلى جانب هذا كله قام المغاربة بدوافع علمية؛ وإحسانية خيرية وإصلاحية إدارية؛ بعدد من الأدوار عبر التاريخ، في هذه الأجواء الربانية والعلمية: ما بين أوقاف على الربط والزوايا والمساجد والمدارس، وعطايا وهبات من قبل السلاطين وكبار

---

[1] **قارن بموقع الألوكة نجلاء سامي النبراوي للمشاركة والنشر 17-11-2015**

المحسنين وغيرهم، وامتدت هذه الخدمات إلى الأسبلة والمياه والصهاريج وحمل الحجاج والمرضى إلى البيمارستانات وتوجيه التائهين.

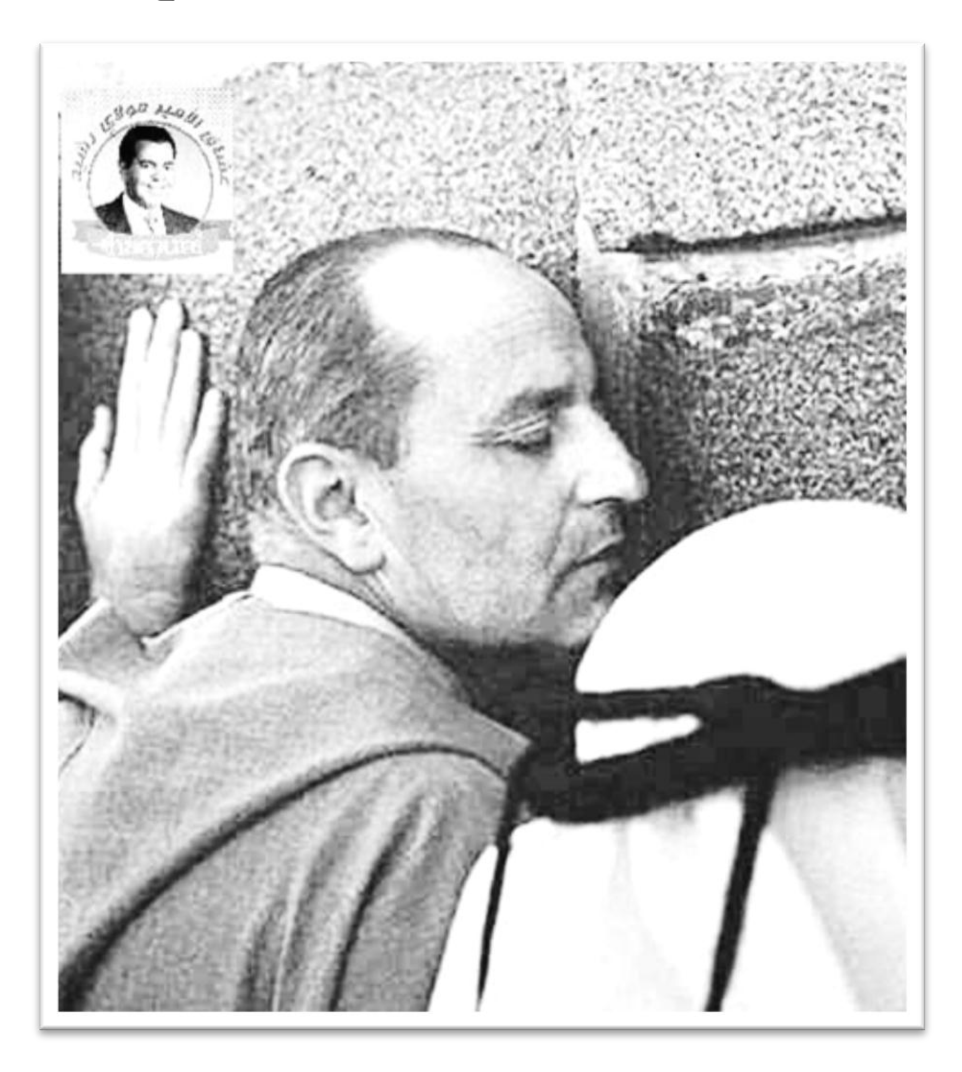
وإلى جانب ذلك كله مارسوا – كما سيأتي تفصيله – وظائف تنفيذية رسمية دينية وإدارية، فتقلدوا مناصب عليا في القضاء والافتاء والحسبة والخطابة والإمامة والأذان والسقاية وحراسة أبواب المؤسسات ومهن التدريس الغالبة على علمائهم ومكتبيهم، حسبة وابتغاء لنشر العلم في تلك الربوع.

وسوف يطلع القارئ على مشاهد من ذلك مشرقة في ما سجلته كتب الرحلات وغيرها بشيء من التفصيل[1] .

---

[1] **قارن بالموقع آنف الذكر.**

من طرائف تعلق المغاربة بمكة المكرمة عبر التاريخ



صورة نادرة لمحمد الخامس بطل الحرية والاستقلال

متعلقا بالكعبة وملتزما للبيت

سيدي عبد الرحمن المجذوب المكناسي المنشأ والولادة سنة 1023هـ.

يذكر هذا الرجل المكناسي عبد الرحمن المجذوب أنه رحل إلى بلاد الشام والروم، ثم جاور بمكة حيث اكتسب حظوة عند أمرائها وعند العامة لأحواله وأقواله التي كانت لسان الحال في ذلك الزمان، وقد أصيب بالفالج في آخر عمره.

وكان محبا للعلماء ومحسنا للفقراء كسائر الصوفية المغاربة الناشطين في المجتمع المدني، والذين يؤطرون الناس عندما تغيب السلطة أو تضعف، فيتولون تنمية الأراضي والفلاحات وغيرها بواسطة المريدين خدام الأمة، وقد أنشأ بمكة لذلك زاوية اشتراها، ودفن بِحَارة الباب[1].

وقصة الشيخ محمود الغندور بحي جرول:

وكان قدم أولا إلى سوق الفخارية، ثم عرج على حارة النورية[2]، فقابل بها امرأة بربرية وطلب منها أن تحضر له امرأة مراكشية لتجهز له موكبا قادريا يشبه مواكب أهل الطريقة القادرية، فقالت له عوضا عن طلب رغبته البعيدة المسافة: "اذهب إلى سورية إلى أصحاب القلوب المرحة، ومن لا يحب محمد الغندور فليذهب إلى أخته نور لتصنع له كفنا وتحفر له قبرا".

وتقام للشيخ الغندور منذ أواسط القرن 13هـ/ 19م ذكرى سنوية في 15 من جمادى الآخرة في حوش ضريحه بمحلّة جرول، وهي مخصصة للنساء كلية تستمر ثلاثة أيام بموافقة الأزواج، وموسمه شبه تجاري للتبضع والتنفيس عن النفس، ويؤجِّر أهل حي

---

[1]. وحارة الباب: بحي الشبيكة بالمدخل الغربي، ومنها دخل الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه في الفتح عند أول مدخل مكة للغرب، وبها مسجده الذي جدد عام 1280هـ، ثم أعيد بناؤه في العهد السعودي عام 1377هـ. ينظر: الغازي، إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام، مخطوط، 1/ 518. ومعه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، 401/2، تأليف ك. سنوك هور خورونيه، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مركز تاريخ مكة المكرمة، ط2 و(ط1/ 1419هـ. 1999م).

[2]. أو حارة النوارية.

جرول بيوتهم لسيدات مكة، ويضم البيت مراتب 12 امرأة، وتتخلل الموسم الاحتفالات والسماع لبعض الجواري مع الضرب على الطبلة والنقر على الدفوف[1].

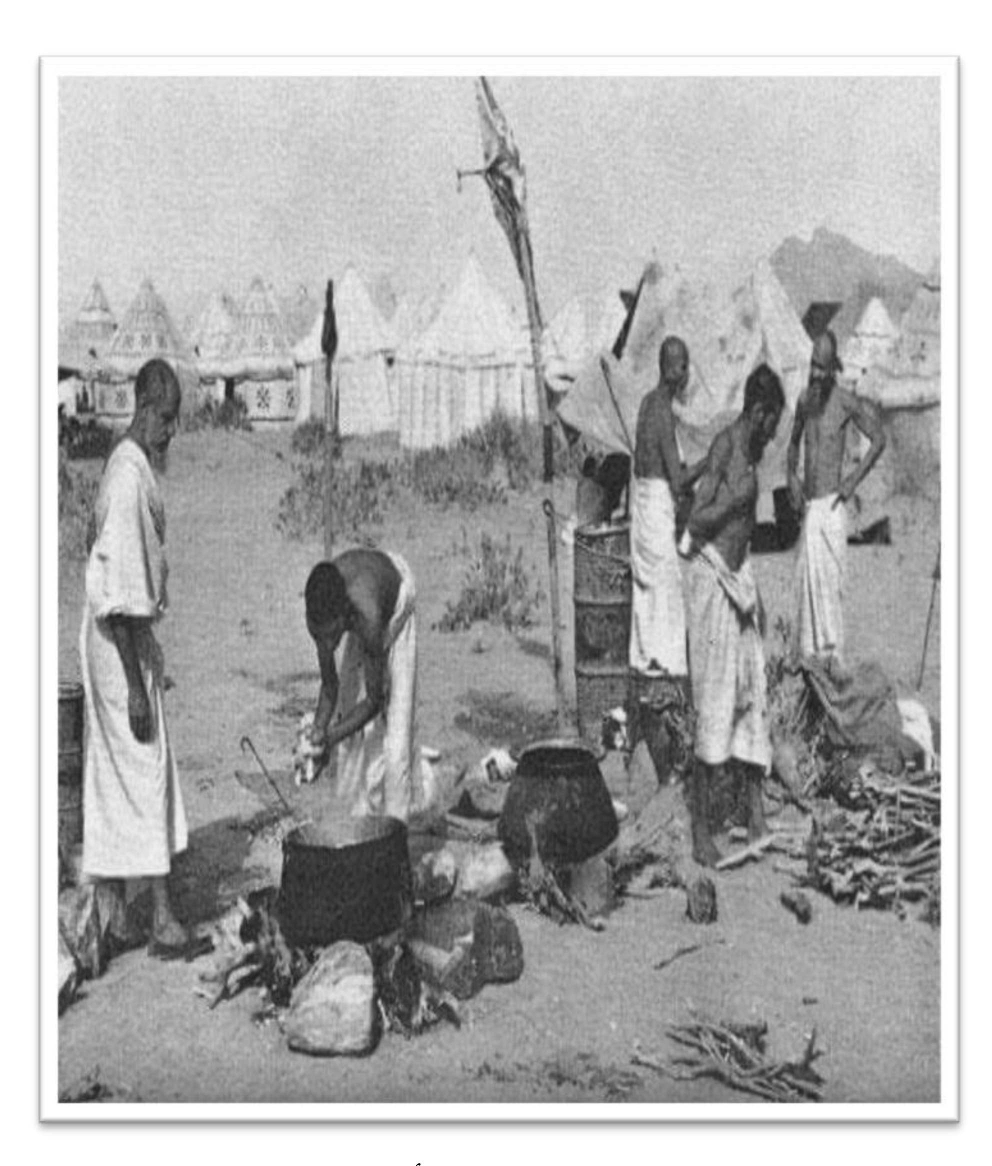
والشاي الأخضر في احتفالات نساء مكة:

وقد عرف بواسطة الحجاج من المغرب وشنقيط، ولا يزال التجار الشناقطة يتناولونه ويتاجرون فيه إلى اليوم، فيما ذكر لي الزميل أحمد أمازوز، وكان موسم الشيخ الغندور آنف الذكر مناسبة لتقديم الشاي الأخضر والمرطبات وقيام المكيات بالتنفيس عن جو مكة القائظ بمثل هذه المناسبات والتي تفوت بإقامة موسم موازٍ لذكرى الشيخ المهدلي في 17 من جمادى الآخرة على مسافة يسيرة من مدخل وادي منى، ويسرد المكيون حكاية هذا الشيخ الذي توقف الركب بسببه بعد مغادرة منى مضطرا ولم يستطع أحد تجاوز المكان، فأمر شريف مكة بتفتيش المناطق المجاورة فوجدت جثة غير مدفونة للشيخ المهدلي؛ فأمرت الجهات العليا ببناء قبة فوق ضريحه، وأقيمت مؤسسة خيرية أحيت ذكرى الاحتفال بالشيخ المهدلي ويقوم الجميع بتوزيع الطعام بجوار حوش الشيخ، ويحضر ذلك الذاكرون والمنشدون[2].

---

[1]. **حمد الجاسر، المجلة العربية، عدد جمادى 1416هـ، ص 102 . 103. وينظر معه صفحات من تاريخ مكة المكرمة، 2/ 398 . 401.**

[2]. **ك. سنوك هور خورونيه، مكة في أوائل القرن 14هـ/ 19م، ترجمة صبري محمد، مراجعة وتقديم جمال زكريا قاسم، المركز القومي للترجمة . القاهرة، ع1157، ط1/ 2007م.**



الحجاج في مخيمات منى يعدون من لحوم الأضاحي ما بين محل ومحرم

الرحالة الحاج علي الدرقاوي والد المختار السوسي يتحدث في أبيات عن بعض المشقات بمكة والالتجاء إلى الشاي للإنعاش (ت1328هـ/ 1910م):

يقول في ألفيته المنظومة حول الحج، عن مرَض أصابه مع ركبه في مشهد يشكل لوحة شعرية عن الموازنة بين شرب الشاي الأخضر وشرب ماء زمزم، وتمتع الشيخ الدرقاوي بالشاي النادر في عصره والمحرّم على الفقراء آنذاك. تناوله إلا إذا حضر ضيف مهم كصهره الفتى محمّد بن العربي الأدوزي[1]:

أصـــابنا مـــع طلـــوع عرفـــــــهْ	وقبلـــه لـــم نـــك ممـــن عرفـــــــهْ
ثمّـــــت دام بعــــده أيامـــــــا	يلـــــــمّ بي آونـــــــة لمامــــــــا
وكنـــت قـــد دخلـــت مكـــة على	شرب لزمـــزم دوامـــا عَلــــــــلا
ثـم مـلأت كل مـا أمكـن لـــي	مـــن الأواني حيطـــة للقَفَـــــلِ
وبعـــدما بلـــغ ســـيله الزّبـــــى	شربـــت مـــا تركتـــه ممـــا مضـــى
مـــن الأتـــاي، فوجدتـــــه دوا	فـــانتعش الجســـم بـــه لمـــا ارتـــوى
فكـــم وكـــم رغّبنـــا الأحبـــابُ	في شربـــه إن حضرـ الشّـــــــرابُ

---

[1]. تنظر هذه الأبيات عند: عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات: مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. الرياض، ط1/ 1426هـ. 2005م، ج2، ص548.

مكة والشاي المغربي بأوان نفيسة لوزير مغربي أول القرن العشرين (1321هـ):

وفي رحلة الوزير المنبهي وزير الحربية في المغرب صحبة ركب الحاج المصري (1321هـ/ 1904م): لوحة متلألئة بالأواني الفضية وكؤوس البلار والشاي المغربي بمكة المكرمة صحبة وزير مغربي:

"ولقد أهدى الوزير المذكور هدايا قيمة من الجواهر النفيسة لكل من الشريف عون الرفيق ولوالي الحجاز .. وكذلك أهدي لي -يقول صاحب مرآة الحرمين- ولضباط المحمل: ساعات فضية، وعلب دخان .. وأهدى أهل بيته لأهل بيتي ساعات ذهبية يدوية .. وكانت أدوات الشاي عند الوزير من المعدن الأبيض، والأكواب من البلور (البلار) المذهب"[1].

[1]. رحلة الرحلات، عبد الهادي التازي، ج2/ 619.

لقطة من أواني الشاي المغربي



التأثير الروحي والعجائبي للمغاربة في أهل مكة عبر التاريخ



مخطوطة بالرسم الفارسي تظهر قافلة حجاج بأجمال وهودج وأفراس وحداة وأبواق ورايات في موكب حجي رسمي وفي الأعلى بيت شعر هو:

ما الحج سيرُك تأْويبا وإدلاجا *** ولا اعتيامُك أَجمَالا وأَحْداجا

والمخطوطة من مقامات الحريري

ويعد الغرب الإسلامي (تونس والجزائر والمغرب) الموطن الأم لعدد كبير من المعتقدات التي تبنّاها المجتمع المكي العامي في الاعتقاد بامتلاك المغاربة بعض التأثير الروحي ومضادات القُوى الشريرة مع الاستعانة ببعض المغاربة من (الفقهاء) في ذلك وفي البحث عن الكنوز إلى اليوم.[1]

وتتشابه ثقافة المكيات ورجالهن في العلاجات بثقافة المغاربة في أمور أنثروبولجية لاتزال رواسبها إلى اليوم:

فيذكر عن المكيات ورجالهن أمور من قبيل سهولة اللجوء إلى الطب الشعبي وتفضيله على الطب التركي المتأثر بأوربا في أمورهن؛ مثل:

التمائم والحجب وتعليقها في خيط يخفيه المكي تحت قميصه قريبا من الرقبة، وفي الوقاية من العين والحسد والأرواح الشريرة، وإصابات المولود بأمراض يتوقى أهله الوقاية منها بواسطة تعليق التمائم والاعتقاد في القرينة وأم الصبيان، وفي إقامة حفلات الزار الشبيهة عندنا بحفلات (دردبة)، وفي نحو اكتشاف المسروق واستعمال الفال بواسطة المصحف مع الالتجاء أحيانا إلى العلاج الطبيعي بالتدليك والتكبير وما يقوي الباه عند الرجال، والالتجاء إلى الإجهاض لحمل غير متوقع بواسطة الدايات أو المولدات، واستعمال موانع الحمل الطبيعية أو قطعه نهائيا، ويسمون ذلك كناية ب (البغلة) في العقم واليأس من الولادات.

---

[1]. صفحات من تاريخ مكة المكرمة، قارن ص 347 . 449، من المجلد الثاني.



عطار مكي تحيط به أوان من مواد العطارة من أعلى

وعروض في الأسفل من مواد خام قابلة للتحويل

النُّعْنُعُ الأخضر عند أهل مكة والمدينة ومصر:

اشتهرت بعض مقاهي الحرمين بتقديم الشاي بالنعنع الأخضر المغروس إما بضواحي مكة وهو طويل الأوراق نسبيا، وإما بِوادي العقيق وبساتين المدينة، الذي يمتاز بورقه القصير ونكهته ورائحته النفاذة، ويباع إما عند البقالين والفاكهانيين في قبضات خضراء رطبة، أو عند العطارين في أكياس بلاستيكية أو ورقية يابسا.

ولنا معه قصص تروى؛ ومن ذلك أن أحد جلسائي بإحدى مقاهي المدينة ونحن نشرب الشاي وقد سألته باعتباره من أهل البلدة:

كيف تزرعون النعنع المغربي في حقول المدينة؟

فأجابني بافتخار كبير بأن أهل المدينة يمتاز نعنعهم بالجودة بسبب عنايتهم به وبالسِّماد الحار المأخوذ من بعر الماعز؛ فأنت تراه أنفذ ما يكون رائحة، وأرق ما يكون أوراقا، وأسود ما يكون أعوادا، بخلاف النعنع المكي الطويل أغصانا وأوراقا وأعوادا.

وحكى لي الزميل محمد بن مبارك احمايمو أنه في إحدى حجاته فاجأه أستاذنا العلامة عبد السلام جبران وقد ملّ من شرب الشاي الأسود في فندق الضيافة الذي أنزله به الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في وفد مغربي، فخرج يبحث عن شاي أسود بنعناع مغربي حتى ولج غرفة الزميل احمايمو؛ فلم يكد يأخذ مكانه وهو مُجْهَد من الحرارة حتى طلب منه شايا أسود بنُعنع مغربي!؟

- فأجابه الزميل: أما الشاي فقد أحضرته معي من مراكش، وأما النعناع فلا أضمن لك وجوده بمكة!
- قال له العلامة جبران المِسْفِيوِيّ ذو الفراسة المنافح الشجاع رحمه الله تعالى: ألم يقل الله عز وجل: ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٖ رِّزْقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾[1].
- فقال الزميل الحاج احمايمو المراكشي: بلى!

---

[1]. س القصص، آ: 57.

- قال جبران: فاخرج إلى أقرب بقالة وستجده!

فخرج، فإذا به ببائع خضر يعرض نعناع مكة فخطف منه على عجل قبضة نعناع ودخل بها مُعْجَلا على العلامة جبران قائلا:

- ها هو ذا (نْعاما سِّي)[1] !

ففرح الشيخ، وكان من الملْهَمين الذاكرين من أهل السلامة، يظهر الاستخفاف والتحرر، ويخفي أحواله عن الناس خوف أن يوبَق عملُه بثنائهم عليه؛ وكان كريم المائدة، مشتغلا بقضاء حاجات الخلق بسّاما فصيحا، بهِيّ الطلعة، طُوالا أشقر، اشتغل باكرا بالسلك المخزني بعد تخرجه من مدارس (مَسْفِيوَة)، وأخذه عن الشيخ التجاني سيدي أحمد النَّظِيفِيّ وفي (آيت عبد السلام) بمدرسة (تَاغنْبُوشْت) أخذ عن شيوخها. ولما ارتحل إلى مراكش كان قد اكتملت عدته من العلوم، فزاوج بين الوظائف المخزنية والتعليم بالكراسي العلمية بابن يوسف أولا، ثم بكلية اللغة العربية بمراكش ثانيا، وفيها أخذنا[2] عنه، ثم صحبناه في عضوية المجلس العلمي عضوا فرئيسا، وفي رمضانات الدروس الحسنية رحمه الله وقدّس معناه وأسراره عنده.

وكان كلما غاب عن مراكش اعتقد الجمهور أنه قد توفي خارج المغرب فيُقبلون على داره للعزاء أياما مراتٍ.

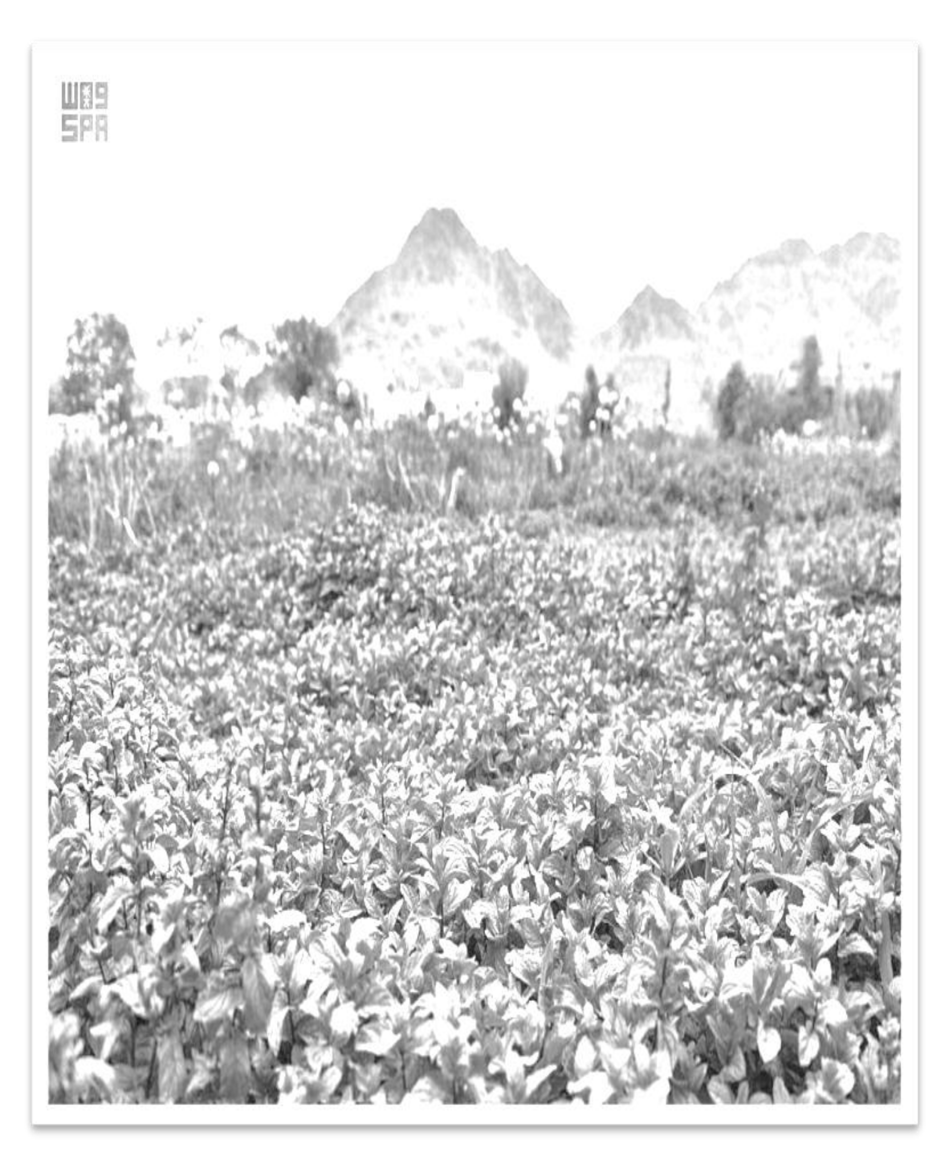
---

[1]. أصلها: نعم أسَيّدي، فرخمتها العامة المغربية إلى (نْعاما أسِّي).

[2]. يقصد المؤلف نفسه، باعتباره أحد خريجي كلية اللغة العربية وأحد أساتذتها في نفس الوقت، كما أنه شغل منصب عضو بالمجلس العلمي الإقليمي فالجهوي بمراكش، فنائب رئيسه، ثم التحق منذ سنة 2021م بعضوية المجلس العلمي الأعلى للمملكة المغربية. كما أنه مؤلف فحل، وشاعر مفلق، ومحاضر نحرير فيما برّز له من المواضيع الشائكة والقضايا الراهنة.



صورة العلامة شيخنا سيدي عبد السلام المسفيوي جبران



النعناع الحجازي في الحقول بسماد المعز

علاقات علماء الحرمين بعلماء المغرب

(نموذج: الأسياد المالكيين المكيين):



أحد الشرفاء المكيين في زيه المكي القديم

وعليه عباءة وشال أبيض وغطرة سوداء

أذكر منهم خاصة من أدركناه منهم وأخذنا عنه سيد الشرفاء العلويين من الفرع الحسيني في آسيا واليمن وحضرموت وشمال أفريقيا: السيد محمد بن علوي المالكي (ت1425هـ/ 2004م)، والذي سار على نهج آبائه في تعاطي التدريس والتأليف بالحرم المكي، وتخصيص داره بالرصيفة للطلبة الآسيويين الذين درس لهم المتون العربية والحديثية والفقهية، وكذا مجالسه الخميسية بقاعة الدار الخضراء التي يضم أسفلها خزانة السادة المالكيين وتراثهم وهداياهم، كما تضم المدرسة داخلية تقوم بإيواء هؤلاء الطلبة الذين يتعاطون بعد تخرجهم الدعوة والتدريس ببلدانهم.

يضاف إليه بقاء هذه الأسرة من السادة الشرفاء على تصوفهم الذي استمدّ أسانيده من مشارب شتى عربية وآسيوية ومغربية، وقد أخذ الشيخ سيدي محمد علوي عن شيوخ مغاربة كبار منهم:

- آل الأسرة الصديقية بمصر والمغرب؛ كسيدي عبد الله بن الصديق، وسيدي عبد العزيز، وسيدي عبد الحي، وسيدي احمد..
- وعن غيرهم من الشيوخ المغاربة كأستاذنا عبد الله كنون وشيوخ آخرين من فاس، وفرع كتاني من الشام؛ كالشيخ المكي الكتاني وغيره..

وقد كان الشيخ يقوم برحلات عديدة إلى المغرب محاضرا في ندوات حول الإمام مالك، وفي الدروس الحسنية الرمضانية، وفي زيارة المدن الكبرى بفاس وطنجة ومراكش والدار البيضاء، وكذا زيارة كبار صالحي المغرب كالرجال السبعة وغيرهم.

كما كان الشيخ سيدي محمد بن علوي المالكي يستقبل في بيته العلماء والصوفية والمادحين وأهل السماع يشاركون في مجالسه بالكلمات والسماع والأناشيد، ويحضرون دروس الشيخ في الأماسي.

وكنتُ زرتُه أواخر تسعينات القرن الماضي صحبة بعض أفراد البعثة العلمية المغربية، وفي المقدمة سيدي ادريس الحمداوي من فاس، والدكتور محمد عز الدين

الإدريسي عضو المجلس العلمي بمراكش آنذاك، وألقيت قصيدة في المديح بين يديه بحضور علماء من مكة والشام والعراق، وقد تفضل فأعطاني أسانيده التي عدد فيها الشيوخ والمناطق من العالم الإسلامي تجاوزوا الخمسين، كما تجاوزت مدارسه في آسيا المئة فرعا، وكان يتلقّى التبرعات من كبار طلبته وقادة بعض الدول الإسلامية لتبقى هذه المدارس مخرّجة للطلاب الجامعين بين العلم والزهد والتصوف، وكان مكثرا من التأليف في هذا الاتجاه، حتى ضاقت منه هيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ ابن باز، فاجتمعت مرات لمراجعة كتب الشيخ والبحث عن المآخذ التي تؤخذ عليه لما خالف فيه السادة العلويون من قديم خاصة وعلماء الحجاز عامة النزعة الحنبلية الوهابية دون كبير نجاح، حتى ضاقوا بالشيخ فرفعوا إلى ولي الأمر الملك فهد آنذاك كتابا بإدانته والحكم عليه بالحد الأقصى من العقوبة القريبة من الردة؛ لولا أن الملك الحسن الثاني والملك فهد (رحمهما الله) تدخلا لدحض هذه الرغبة.

- وقد وجدنا عند زيارتنا في بداية التسعينات من القرن الماضي الشيخ يحمد الله على أن نجاه من هذا المصير المجهول، وهو يردد في مجالسه الأذكار التي تدل على شكر الله من هذه المحاولات التي كان هو يتصدى لها بالتأليف في مثل كتابه مفاتيح الفرج ويرد على بعضها محبوه من المغرب، فكان من ذلك ما كتبه أبو بكر الجزائري حولهم في رسالة سماها: (وجاءوا يركضون!)، فرد عليه الشيخ عبد الحي من فاس ومن معه بكتاب ورد سماه: (واعظ غير متعّظ!)، فسكت الشيخ الجزائري على مضض.
- وقد كان الشيخ ونحن بحي جرول بعمارة السقاط؛ يبعث إلينا سيارة رباعية الدفع يسوقها ابنه سيدي أحمد الذي يتولى اليوم إدارة المدرسة بعد وفاة والده، وكان يزور جدته بجرول فيصحبنا للحضور إلى مجالس الأحبة بدار والده كما كان أخو الشيخ سيدي عباس من أجمل من كان يزين المجلس بصوته الحجازي الرخيم.

- وقد أنشأت قصيدة في الشيخ وسمته وهديه ومدرسته وحياته مطولة؛ وهذا نصها:

زيارة إلى أحفاد شرفاء مكة

سلام على من كان من الصَّحْبِ … قريبا إلى النفوس والعين والقلب

مثابة إكرام وعلم وبهجة … وتدريس طلاب هنالك عن قرب

ودارته مأوى الشباب وشيخها … يفتِّح أغلاقا بمنطقه العذب

ويغرس في القلوب حبّ محمد … ويرفع رايات المحبة في الركب

ويحدو بقوم مخبتين؛ طريقهم … بخلوته المملوءة الرّفّ بالكتْب

"بِرَاصِفَةَ" التي بمكة؛ قدرُها … رفيع إذا عُدّ الرصيفي في الصّحب

نزلنا بها يوما، ويوما، وثالثا … بحَجّتنا الأولى نُزُولَ ذوي الرّغْب

وقد بعث النجل الزكي أخا الندى … إلينا "بجرولٍ" مرورا على دأْب

وكنا نزلنا قرب جدته التي … يقوم بزَوْرَاتٍ إليها على الصّوْب

سُقِي جدث لها هناك بوابل … من المطر المهور بالوبل والسُّحْبِ

ولما نزلنا عنده بمجالسٍ … من العلم والذكر المقرِّب للرّبّ

زها المجس المخضر كالروض منظرا … بتطريب أصواتٍ منوعة الضّرْب

وشدو من العباس بورك صوته … ونغمته الحجاز في الرفع والنصب

فلم أر مثله جمالا وبهجة … وتلوين أنغام وحنجرة تصبي

بحب رسول الله أنشد أبحرا … خفيفة أوزان تَراقَصُ في السِّرب

ومعْهُ شباب شاخصون إلى العلا … تُرَدَّد أصداءٌ لهم في مدى الغيب

وتُنشِد من شعر لحسان تارة … وأخرى لكعب أو بُصَيْرِيِّنا الغربِي

وها الشيخ سيد الجميع بمكة … ينوّع بالتحديث والسند المنبي

ويدعو دعاء الضارعين لربهم … ويشكر أن نجاه من حالة الكُرْب

ويختتم بالسبع المثاني حديثه   ليحفظ جلاس له من قوى العيب

ويطلب زوارا له أن يشاركوا   بما جد من شعر ومن نثر ومن كتب

من أهل الحجاز والعراق وشامنا   ومغربنا الأقصى الأكارم في الشَّرب

فينبعث العبد الضعيف بنظم ما   تساقط من تمر وبسر ومن رطب

ومعه من الصحب العزيز شريفنا   الزكيُّ ومعيار النضار أخو الندب

أخو الكلمة الممهورة الطبع بالذي   له البلغاء قد دَعَوا وبه تُنبي

وإدريسنا الحمداوي الطينة التي   زكت في تراب فاس من غير ما عَتْبِ

ومعْه عيون من متون نفيسة   يقدمها للشيخ من فاس بالحب

ورابعنا السَّلاوي الفاسي الذي   زها منظرٌ له تنشأ في الخصب

وقد كان إدريس هنالك رائدا   صدوقا وشهما في المواقف بالذب

يُمهِّد من طرق لنا كل مصعب   ويحدو بنا نحو المنابع والشرب

ويلتقط الكُتْب النفيس عطاؤها   ويدنو إلى الشيوخ والسّند العذب

ولم أنس مِ الأشياء موقفَه لدى   الجمار وفتحه الطريق بلا درب

تقدم في حزم وعزم بحكمة   ليخرجنا بالرّفق من جِحَر الضَّبّ

وقد نالت الأجساد في دار سيِّدٍ   تفاريق من زاد مُقْوٍ بِلا حوْبِ

وما شِئت من كتب ومِسك وعنبرٍ   وما شئت من حلو التمور من الوطْب

وما شئت من لحم الضئين مبخرا   على جفنة مِ الأُرْز موقورة الجنب

نؤاكل خيرَ عترة الشهم أحمد   بساحة قصر للشريف أخي العُرب

و "شَالٌ" له أخضر جوانبه على   مناكبه منجد الشكل والهدب

عِمامته الفريدة الطيّ والثّنا   تميزه فردا لدى الشرق والغرب

ولحيته المخضوبة اللون أشرقت   تذكر بالمحمود أحمد والصحب

رفيع النجاد واسع الصدر والخطى ... بعذب من القول المبرِّد للقلب

يحيط به الأشبال أبناؤه الألى ... قد اقتبسوا نورا وحسنا على قربِ

وما منهمُو إلا وأشرق ضوءه ... وشبّ على التحديث والمقرإ العذْبِ

وأزهرَ في لون الحُميراءِ مولودا ... وأُشْرب أوصاف الأماجد والأبّ[1]

إذا هزّ غصنه تناثر من ندى ... وألقى الثمار في حجور ذوي الرغب

فبارِكْ إلهي من أصول فروعها ... وأورثهمُ سر الفتوحات والقطب

وأسْق بهم كل الأراضي محبّة ... وسلما ينجينا من الهرْج والحرب

تشع بهم أقطار شرق ومغربٍ ... وأفريقيا والغرب كالشمس في الدرب

وذا المغرب الأقصى إذا ذكر الألى ... بمكة مغناكمْ له أَوْلَ الشِّعب

مودتهم لكم مودةُ واجب ... قد أوجبه الرحمان في البعد والقرب

فأهلا وسهلا قد نزلتم بنا، لكم ... علينا حقوق واجبات مع الحبّ

ومجلسنا العلمِي تَهلّل ركنه ... وأعضاؤه والرأس أهلا على الرحب

ومراكش الحمرا وأحبابكم هنا ... يَحِنون شوقا للقاء وللنخب

وصلى الإله في الصباح وفي المسا ... على جدكم والحاضرين وفي الغيب

صلاة تنجينا من الحرّ والظّما ... إذا حلقت شمس القيامة عن قرب

محمد البايك

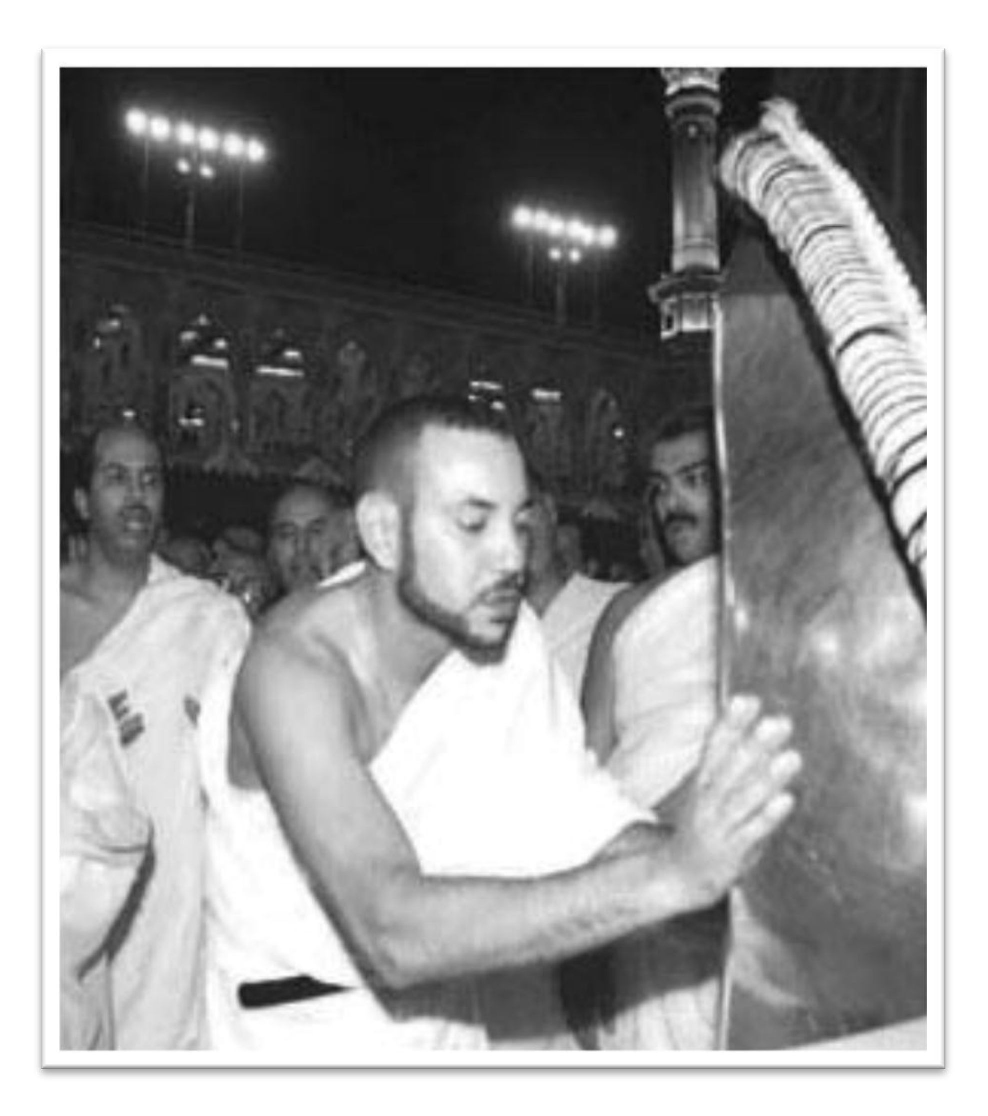
---

[1]. لغة في الأب.



الولد سر أبيه في كل شيء ظاهرا وباطنا

تعلق الملوك المغاربة بمكة



لقطة لمجدد المغرب وملك التحديث ومطور القوانين الدستورية وحقوق المرأة

محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف الله وليه

وهكذا الملوك المغاربة عبر العصور فخلال سنة 731هـ/ 1335م، أرسل السلطان المريني أبو الحسن بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب المنصور بن عبد الحق مؤسس دولة بني مرين بالمغرب وصدر الملوك السبعة حكام العالم في عصره: ملك مصر، والشام، وملك العراقين، وملك الترك، وملك خوارزم، وملك الهند، والصين، ضمن الوفد المغربي الرسمي الذي ترأسته حَظِيّة والده المذكور، هدية مرفوقة بنسخ من أول مصحف سلطاني كتبه بخط يده.

ولما أتمه قبل ذلك، جمع النساخين والوراقين والقراء في (رُبْعة)؛ أي ظرف مربع صنعها من الآبنوس والعاج والصندل وغشيت بصحائف الذهب ورصعت بالجواهر والياقوت مع أَصْوِنَة من الجلد المحكم المتين المرقوم بخط الذهب فوقها غلائف من الحرير والديباج وأغشية من الكتان.

ومع مبلغ كبير من المال هدية لشرفاء مكة ولشراء ضياع توقف على قراء هذا المصحف عبر العصور[1].

[1]. **ورقات عن حضارة المرينيين، المنوني محمد، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996م، ص208.**



مصحف أبي الحسن المريني بخط يده داخل صندوق من خشب الآبنوس

يعرف بالربعة المغربية هدية إلى مكة مكتوب بالزعفران منذ سبعة قرون



صورة تاريخية تضم الملكين الراحلين الحسن الثاني يباسط الملك فيصل بن عبد العزيز
وفي الطرف الأمير سلمان ضاحكين مستبشرين



صورة نادرة تضم كلا من المشمولين برحمة الله: الملك الحسن الثاني – والملك خالد بن عبد العزيز – وفي الوسط ياسر عرفات في المؤتمر الإسلامي الثالث بالطائف

أوقاف المغاربة في مختلف المجالات بمكة داخليا وخارجيا

وصورة وقف شنقيطي مرابطي بمكة المكرمة



عمارة للسكنى وفي أسفلها مطاعم ومتاجر

ولها مدخل من الوسط للوقف الشنقيطي المرابطي بمكة المكرمة

وهكذا تعلقت المشاعر الإحسانية والعمرانية والعلمية والاجتماعية بقلوب المغاربة عبر تاريخهم الإسلامي؛ بكل من المدينة المنورة ومكة المكرمة، مهوى أفئدتهم وأغلى أمنياتهم ومنتهى آمالهم، تعلقا كلما كان البعد عن مكة رغم المشاق ووعورة الطريق مبعدا لهم عن الوصول إليها كلما ازداد بذلك شوقهم إلى أن تكون منتهى رحلاتهم ومهاوي أفئدتهم وجسومهم وبصمات أعمالهم.

لذلك سعوا إلى التحبيس عليها والوقف -سواء كتب لهم الوصول إليها والحج- أم حالت دون ذلك موانع! فاقتصروا على بعث الكتب والهدايا والأموال والحلي، وخاصة المغربيات اللواتي كان من قبيل المستحيل أن يفكرن في اقتحام الأهوال والتعرض لما لا تحمد عقباه في الطريق البري والبحري، حتى أفتى علماؤهم بحرمة سلوك الطريق البحري على المرأة مخافة ما يتعرض له المسافر بحرا من أمواج وقراصنة، وانكشاف للملابس عند اضطراب البحر وتلاطم أمواجه واضطراب السفن وانكفائها على وجهها، وتعرض الركاب للغرق، أو ما يحدث في الطريق البري من سلب ونهب وسبي للحرائر من طرف الأعراب وقطاع الطرق!

وهكذا حرص الملوك والوزراء والعلماء وذوو اليسار وغيرهم على الحصول على موقع لهم بمكة في صور شتى إذا لم يتيسر لهم الحج أو إذا ما تيسر!

واختاروا من كرائم أموالهم ومصوغات نسائهم ومن مصنوعاتهم وهداياهم الصوفية، ما يجعل تلك الهدايا تنوب عنهم هناك؛ مثلما تقدم من تحبيس أبي الحسن المريني لمصحف كتبه بخط يده وصنعه الصناع والقراء والخطاطون والحرفيون بأحسن ما

يتفنون فيه للوقف على مكة وترتيب القراء على هذا المصحف رجاء الثواب والأجر المضاعف الجزيل.

ويحدثنا التاريخ المغربي والعربي والإسلامي عن نماذج من هذا الباب في:

- **تخصيص الدور والبساتين والمواضع** تعود عوائدها على الحرمين الشريفين:

ولقد أدركت بمراكش بجِواري أرضا مسقية ذات مسافة واسعة على ضفة وادي إسيل اليسرى من أوقاف (آل بوستة) الوزير والقاضي الشهير بمراكش زمن السلطان المولى يوسف والمولى محمد الخامس يعود ريعها على مكة المكرمة.

- تحبيس الكتب والخزانات والمصاحف على الحرمين:

وقد تقدم تحبيس المصحف المريني آنفا، وعلى غراره حبّس المولى إسماعيل العلوي ثلاثة وعشرين مصحفا مُحلاة بالذهب ومرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الذي يقال بأن عقبة بن نافع ﵁ فاتح المغرب نسخه من المصحف العثماني[1].

- **تحبيس الأموال والعقارات والضياع على الحرمين ومسجد قباء وغيره:**

ومن ذلك أن المولى إسماعيل العلوي (ت 1139هـ) حبّس نصف مستفاد غلة زيتون (حمرية) بمكناس على الحرمين.

وكذلك محمد بن عبد الله حفيده (ت 1204هـ) حبس ألفي دينار ذهبا من مستفاد (مرسى تطوان) على كل من له وظيفة في الحرمين من أعوان وأئمة ومدرسين

---

[1]. **تتمة المختصر في أخبار البشر، 2/ 328. والاستقصاء، للناصري، 4/ 74.**

ومؤذنين وفراشين ووقادين؛ وأولهم الطلبة قراء المصحف[1]، وحبس ستة آلاف درهم لأهل الحرمين على القيمين وعلى مسجد قباء ومدرسته، وعلى أبناء الأنصار والفقراء والمساكين برباطَيْ سيدنا عثمان ﷺ وعبد القادر الجيلاني، ومائة **ريال** للشيخ المشرف على توزيع الحبس له ولعقبه إذا اتبعوا طريقته[2].

وحبس أيضا على مكة غير ذلك مما تقدم.

- واتبع الناس هذا، فأوصى أحد أبناء تطوان عام 1163هـ أن يصرف نصف تركته على مكة بوثيقة تحبيس[3].

- **وفي المجال العلمي**:

تجسد الوقف المغربي في مؤسسات الرباطات والمدارس والمسجد الحرام والمسجد النبوي وكذلك على خزانات الكتب، ودأب السلاطين على ذلك كالسلطان مولاي إسماعيل آنف الذكر وحفيده محمد بن عبد الله وخاصة جوائز للعلماء؛ مثلما صنع للشيخ مرتضى الزبيدي فوصله ب 500 دينار ذهبا وساعة قيمتها نحو ذلك مع ركب الحاج الفاسي (سنة 1197هـ)، ومقدارا كبيرا على طلبة الفقه على المذاهب الأربعة، وعلى العلماء وعلى الطلبة المتحلقين لقراءة الفتوحات الإلهية والجامع الصحيح بالمسجد النبوي[4].

---

[1]. **الحوالة العباسية، مخطوط رقم 11، قسم الوثائق والمحفوظات بالخزانة العامة بالرباط.**

[2]. **نفسه.**

[3]. **تاريخ تطوان، محمد داوود، ط معهد الحسن بن المهدي . تطوان/ المغرب، 7/ 56.**

[4]. **ركب الحاج المغربي، محمد المنوني، معهد مولاي الحسن . تطوان، ط/ 1953م، ص24.**

- **تحبيس الكتب والمكتبات:**

وكانت القاعدة أن يصرف العالِم من مختلف أنحاء العالَم الإسلامي نسخة من مصنفاته للحرمين رجاء الإقبال على كتبه أو على أحدها[1].

وأقدم ذلك عند المغاربة تحبيس كتب الفقه المالكي على طلبة الفقه؛ منها كتاب (المقرب في اختصار المدونة) لابن أبي زمنين في ست مجلدات.

وحبس العبدري الميورقي (ت 524هـ) مكتبة بمكة على طلبة العلم، ووصفها مؤرخ مكة التقي الفاسي بأنها كثيرة مشتملة على فوائد جمة أفاد منها[2].

وفي القرن الثامن حبس الشيخ عبد الرحمن الجزولي نسخا بخطه على طلبة العلم برباط دكالة وغيره بالمدينة المنورة[3].

- **وفي المجال الاجتماعي:**

وذلك مثل أحباس الملوك على الفئات المعوزة والمقعَدين والمجاوِرين، وعلى أبناء الأنصار بالمدينة، وعلى مُجاوِري المغاربة أيضا، وعلى فقراء المدينة، وهناك رباطات ثلاثة لهذا الغرض؛ واحد بالمدينة (رباط دكالة)، ورباطان بمكة (رباط السّبتية، ورباط الموفق) وسُمّي (رباط عثمان، ورباط المغاربة)، وحبسه أولا محسن مصري على فقراء أهل الغرب الإسلامي[4].

---

1. رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، مخطوط. خ الحسنية بالرباط، رقم **5056**.
2. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي، ط مؤسسة الرسالة، ط/ **1406**هـ، **2**/ **74**.
3. الطائف ومؤرخوه، حمد الجاسر، مجلة العرب، ع**2**/ س**2**، شعبان **1387**هـ، ص **98**. **99**.
4. أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول بالمملكة العربية السعودية بجامعة أم القرى سنة **1422**هـ، حسن الوراكلي (أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى وعبد المالك السعدي بتطوان).

وعرفت من خلال الزميل عبد الرحمن بن الطالب الفيلالي المراكشي المقيم بالمدينة المنورة أن ناظر أوقافها كلفه بالسفر إلى المغرب وإلى (تافيلالت) ليبحث مع نقيب شرفائها طلبات مقدمة من بعض الأسر المقيمة والطلبة المقيمين أو الزائرين للحرمين للاستفادة من الوقف المغربي المخصص من قبل الشرفاء العلويين بالحرمين وغيرهم... وكتب بذلك تقريرا وحمل تزكيات من ناظر أوقاف الشرفاء بتافيلالت لهذا الغرض.

شرفاء الحجاز الحسنيون والحسينيون ومكانتهم بمكة



مشهد خطابي على الأعواد وفي المقدمة أعيان الشرفاء وغيرهم

في خطبة بالمناسبة

إستمر تسييرهم لشؤون الحجاز والحرمين، وعلاقتهم الروحية بالعالم الإسلامي، ومكانة شرفاء المغرب العلويين عندهم منذ أن هاجر جدهم مؤسس نواة الدولة من (يَنبُع) إلى اليوم في سلسلة من الملوك والأمراء قاربت الثلاثين.

لقد وضع العالم الإسلامي شرف النسب الحسني والحسيني مصدرا للتعظيم لشرفاء الحرمين والحجاز ونفوذهم في نجد وحضرموت وغيرها من قديم.

وعلى توالي الدول من أموية وعباسية وفاطمية، بقي الشرفاء مصدر احترام وتقدير وتغاض عن اجتهاداتهم وأخطائهم وتنازعهم على القيادة فيما بينهم؛ واستمر هذا التوقير لهم طويلا إلى أن ظهرت (الوهابية) ومعهم القادة المحاربون من السعوديين الذين تدخلوا تدريجيا ليحدوا من نفوذ الشرفاء تاركين مع ذلك لهم المكانة الدينية وبعض الوظائف العلمية والإدارية إلى اليوم.

وكان من الأسر التي تأخرت في العصور الأخيرة في هذا المجال شرفاءُ (ينبع) من أبناء قتادة الذين رأوا من الهواشم من بني حسن بعض المخالفات المتوارَثة، وشيئا من نفرة القلوب منهم لطول الزمان والممارسات والأخطاء.

فكان الشريف قتادة ينتظر إلى السابع والعشرين من رجب، وكان مناسبة ينتقل فيها أهل مكة بعمرة رجب وخاصة خروجهم إلى التنعيم؛ فحمل مع ذويه وعبيده ودخل مكة من أعلاها ومنع ولاتها السابقين من أبناء حسن من الدخول خلال الأسوار. وكان آخر الشرفاء الهاشميين مكثر بن عيسى الذي خرج مضطرا إلى اليمن وتمكن الشريف الينبعي قتادة هذا من قيادة البلاد سنة 599هـ.

واستمر حكم الأشراف من أبناء قتادة وهم الطبقة الرابعة من الأشراف نحو ستة قرون ونصف إلى أن دخل السعوديون[1].

ولذلك نفهم علاقة شرفاء المغرب الينبعيي الأصول ومن تقدمهم بهؤلاء الشرفاء بكل من ينبع الميناء التاريخي قبل جدة ومكة والمدينة باعتبارهم من أصولهم الأولى وعنايتهم عبر تاريخهم بتعهد هذه الأواصر بالبعثات والمنح والعطايا والأوقاف والسفارات إلى اليوم، وتجلى ذلك في تكرار زيارات آخر ملوك الدولة العلوية لينبع البحر وينبع النخل عند حلولهم بالحجاز، وكام آخرهم الملك محمد السادس ووالده الحسن الثاني بالنيابة عن أخيه المولى عبد الله رحمهم الله، وكذلك جده محمد الخامس.

وقد قدم الحسن الداخل نجل القاسم بن محمد بن أبي القاسم من عقب النفس الزكية من ينبع إلى تافيلالت نواحي سجلماسة؛ ويقال بأن جوها شبيه بجو ينبع النخل في خدمة واحات النخيل هناك تعهدا واستثمارا، بعدما طلب أهلها من الشريف المذكور أن يبارك لهم هذه الواحة من النخيل ليستفيدوا منه معنويا ومعرفيا بتربية النخيل ومداواة بعض أمراضها وهي مصدر الرزق الأساسي لديهم.

فكانت لهم إمارة تافيلالت أولا في عهد مولاي الشريف ومولاي محمد الأول ومولاي رشيد الذي انتقل إلى داخل المغرب لتوحيد الإمارات المتصارعة ليتولى بعده نجله المولى إسماعيل تشييد مغرب موحد جديد في أنظمته الإدارية والعمرانية والسياسية، مما لايزال قائما في أنحاء المغرب من قصبات ومراكز مراقبة ومدن إسماعيلية ونقاط تفتيش وحماية للتجارة والمسافرين .. إلخ.

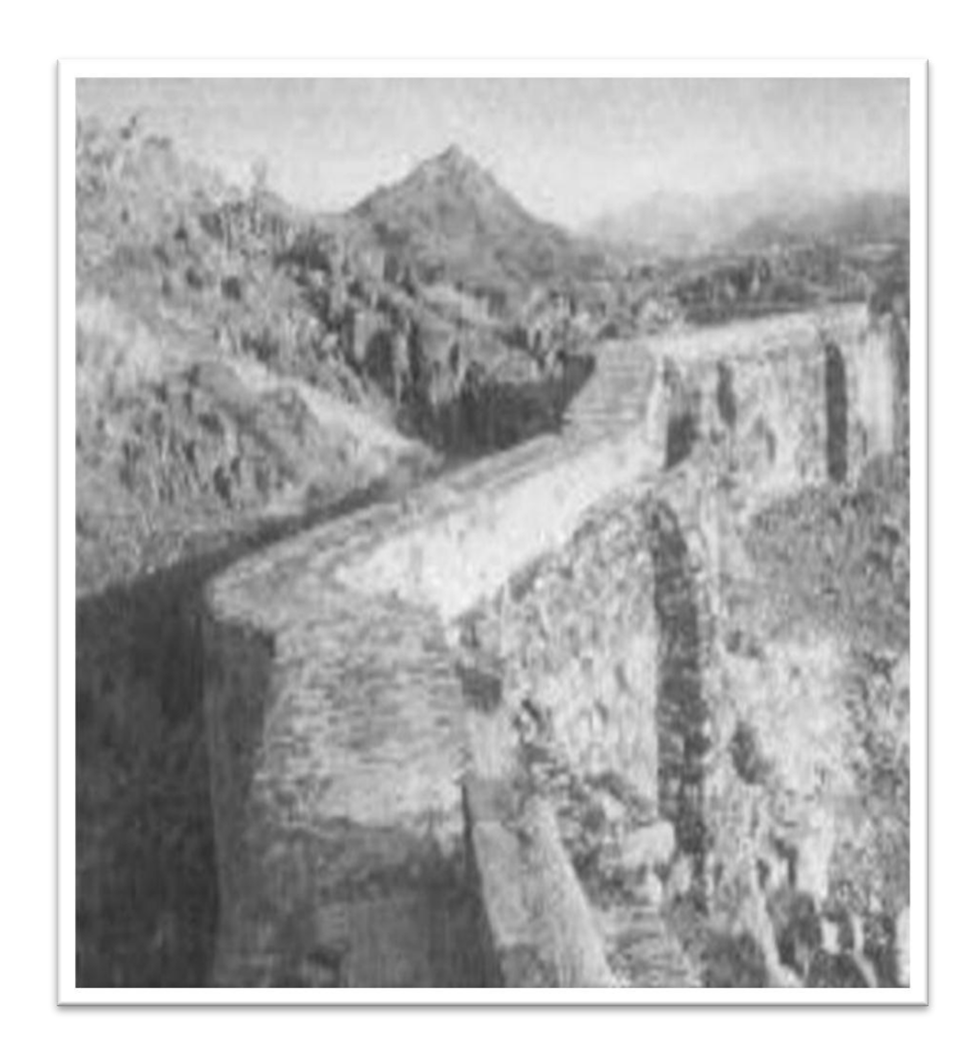
---

[1]. **أخبار مكة المشرفة، السباعي، ج2/ 214 وج3/ 83، وغيرها. وصفحات من تاريخ مكة المكرمة، مصدر سابق، ج1/ 188. 191.**

واستمرت هذه الخطط في أبنائه وأحفاده العشرين إلى اليوم مع تحديث المغرب من جديد في عهد محمد الخامس وابنه الحسن الثاني وحفيده محمد السادس ذرية بعضها من بعض[1]، والله سميع عليم.

[1]. ينظر: الاستقصاء للناصري في أجزائه الأخيرة. وكتب ابن زيدان نقيب شرفاء مكناس. وموسوعة المغرب. والجيش العرمرم لأكنسوس.

شعور المغاربة ذوي الجبال والأنهار بشحة الماء بمكة وعين زبيدة المجلوبة من بعيد منذ أكثر 1255 عاما



وفي منتصف القرن الماضي وخلال سنة 1355هـ/ 1937م، يرحل القاضي أحمد بن محمد التطواني الرهوني إلى الحجاز فيذكر في رحلته التي نشرها معهد الجنرال فرانكو للأبحاث العربية والإسلامية سنة 1941م أمورا لفتت نظره؛ منها: ظاهرة تزويد مكة ومناسك عرفات ومنى بالمياه؛ فبعد أن أطلّ على بئر زمزم وذرع بعدها عن الكعبة بمحو عشرين مترا، وقعرُها به ثلاث خرّاجات أو عيون.

ينتقل بنا إلى طريق الطائف الذي سلكه وبعد 40 كلم من مكة حيث وجد عين حنين (المعروفة بعين زبيدة)، ولاحظ أنها تسير في قناة بُنِيَتْ لها من منبعها إلى كل من عرفات والمزدلفة ومنى ومكة مسالكُ، وذرعَ عرض هذه القناة ما بين 50 و60 سنتمترا، أما عمقها فنحو متر ونصف يرتفع الماء داخلها إلى 70 سنتمترا قد يزيد أو ينقص حسب الفصول والأمطار.

وهذه القناة مغطاة من أعلاها بحجارة على مقاسها، وبين هذه الأغطية فتحات متباعدة تركت لأخذ الماء منها للشرب أو لسقي الدواب، ولكي لا يضيع الماء النازح منها وضعت بجانب هذه الفتحات أحواض للشرب الإنساني، وأحواض لشرب الدواب.

أما سطح هذه القنوات فبحسب ارتفاع وانخفاض الأراضي المارة عليها: تارة ترتفع من الأرض المنخفضة (بمعديات) تصل إلى نحو 7 أمتار وتارة تغور في الأرض بحسب جريان القناة على مستوى هندسي يدفع المياه نحو مكة وعرفات.

ولكي يتمكن العمال والمنظفون من تنظيفها باستمرار وضعت سلالم قد تصل أدراجها إلى خمسة عشر درجا تنظف كل سنة قبل موسم الحج.

أما أهل مكة فكانوا يشربون قبل هذا من الآبار إلى زمن معاوية ﵁ الذي أمر بإجراء عشر قنوات حتى انقطعت ووقفت سنة 132هـ فرجع الناس إلى الآبار حتى 193هـ.

فقامت زوجة الرشيد السيدة زبيدة بإجراء عين كبيرة مستمرة تبدأ من عين حنين بطريق الطائف إلى عرفة، وقد أنفقت في ذلك مليونا وسبعمائة ألف دينار وهو مبلغ ضخم إذا حسب بالدولار أو الريال اليوم، وهو أيضا مشروع كبير.

وتتابعت العناية بها عبر القرون إلى عام 1330هـ/ 1912م حيث تعرضت للإهمال كما رأينا ذلك في أواخر القرن الماضي، وفكرت الحكومة السعودية منذ سنوات في إعادة إحيائها من جديد لتضاف إلى المياه الأخرى المكررة في معامل تحلية مياه البحر في المناطق التي تقل فيها المياه والآبار والأنهار الجارية في مختلف أنحاء المملكة؛ وقد رأينا مرات بقايا آثارها في عرفات مرتفعة ملتصقة بجبل الرحمة في علو يتمكن الصاعد من الوصول إليها وكذلك الحيوانات أيام الموسم.

أول رحلة مبكرة وصلتنا للرحالة أبي بكر بن العربي المعافري إلى مكة (ت 543هـ/ 1148م): من بواكر الرحلات المغربية



أول رحلة مبكرة ذكرت ضمن الرحلات المغربية الحجازية رحلة أبي بكر بن العربي إلى مكة والتي وقعت سنة 489هـ.

وقد كان لابن العربي المعافري رحلتان إلى المشرق:

- إحداهما: سفارة إلى الخليفة المستظهر بالله العباسي من قبل يوسف بن تاشفين[1].
- ثانيتهما: ما ذكره المقّري الأزدي من بين مؤلفاته (ترتيب الرحلة)؛ وفيه: "كنت بمكة مقيما في ذي الحجة 489هـ، وكنت أشرب ماء زمزم كثيرا، وكلما شربته نويت به العلم والإيمان، ففتح الله تعالى ببركته في المقدار الذي يسر لي من العلم".

قال: "ونسيت أن أشربه بنية العمل بالعلم، ويا ليتني شربته لهما حتى يفتح الله تعالى لي فيهما، ولم يُقَدّر، فكان صغوي للعلم أكثر منه للعمل!"[2].

وذكر ابن بشكوال في (الصلة) أنه رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة 485هـ، ثم حج سنة 489هـ وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير[3].

كما نقل أن ابن العربي أخذ في مكة عن محدثها ومفتيها أبي عبد الله الحسين الطبري الشافعي (418هـ ـ 498هـ) المجاور بمكة.

---

1. مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب الإنساني ـ بيروت، ط1/ 1926م، 1/ 186.
2. مائة رحلة ورحلة، عبد الهادي التازي، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الزقامي للتراث الإسلامي، ط/ 1422هـ ـ 2005م، 1/ 60.
3. نفسه.

كما أخذ عن أبي عبد الله اليابري من شيوخ الزمخشري جار الله كتاب سيبويه، وأخذ عن ثابت بن بندار الحمامي البقالي المقرئ سنة 498هـ نسخة دينار بن عبد الله للموطأ.

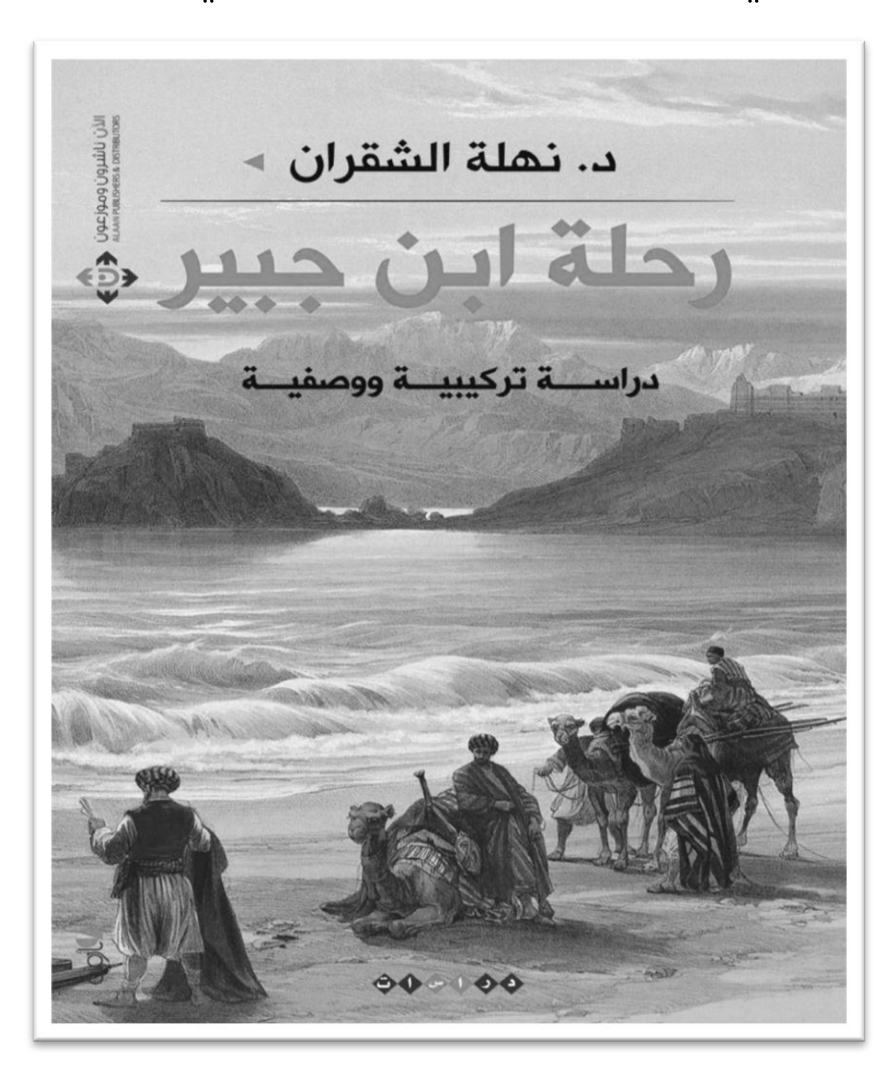
وأخذ أيضا عمن كان سمع منهم في بغداد من أمثال أبي الفوارس طراد الزينبي مسند العراق ونقيب العباسيين[1].

[1]. نفسه، نقلا عن: **العواصم من القواصم، تح محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط/ 1375هـ.**



لوحة متخيلة لبعض الكتب المخطوطة الثمينة التي أدخلها ابن العربي لأول مرة من المشرق الى المغرب وذلك من عوائد رحلته المباركة إلى البيت الحرام

ومن أقدم من وصف مكة من الرحالة المغاربة في القرن السادس الهجري أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير البلنسي سنة 579



وقد سجل ابن جبير أيامه بمكة يوما بيوم ولم يكن يرضى عن تسيير أمراء مكة في خدمة الحاج إلى درجة أنه دعا صلاح الدين الأيوبي أن ينقذ أهل مكة والحجاز من هذه الممارسات.

ولاحظ من حالة تدين أهل مكة نوعا من التساهل والخروج عل الجادة ورأى أن المعتقد الصحيح إنما هو للمغاربة؛ وكانوا آنذاك في العصر الموحدي وإن لم يجرؤ الموحدون مع تشددهم على تبديع وتفسيق أهل المشرق.

وكان من دوافع ذلك أن العالم الإسلامي كان يئن تحت وطأة الغزو الصليبي، مما أثر على أحواله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وقد رصد بمكة جملة من المشاهدات واللقاءات بعلمائها وغيرهم، وتتبع بدقة معالم ومآثر مكة، ووصف كثيرا من النواحي الاجتماعية والعلمية بها، وذكر أيضا حمامي مكة أحدهما لبعض أشياخ الملحقين بالحرم وهو أصغر من الحمام الأكبر المسمى بحمام جمال الدين وكان وزير صاحب الموصل، وجلب الماء إلى عرفات، وقاطع عليه العرب من بني شعبة سكان تلك النواحي بوظائف من المال حتى لا يقطعوه عن الحاج، فلما مات عادوا إلى عادتهم القديمة.

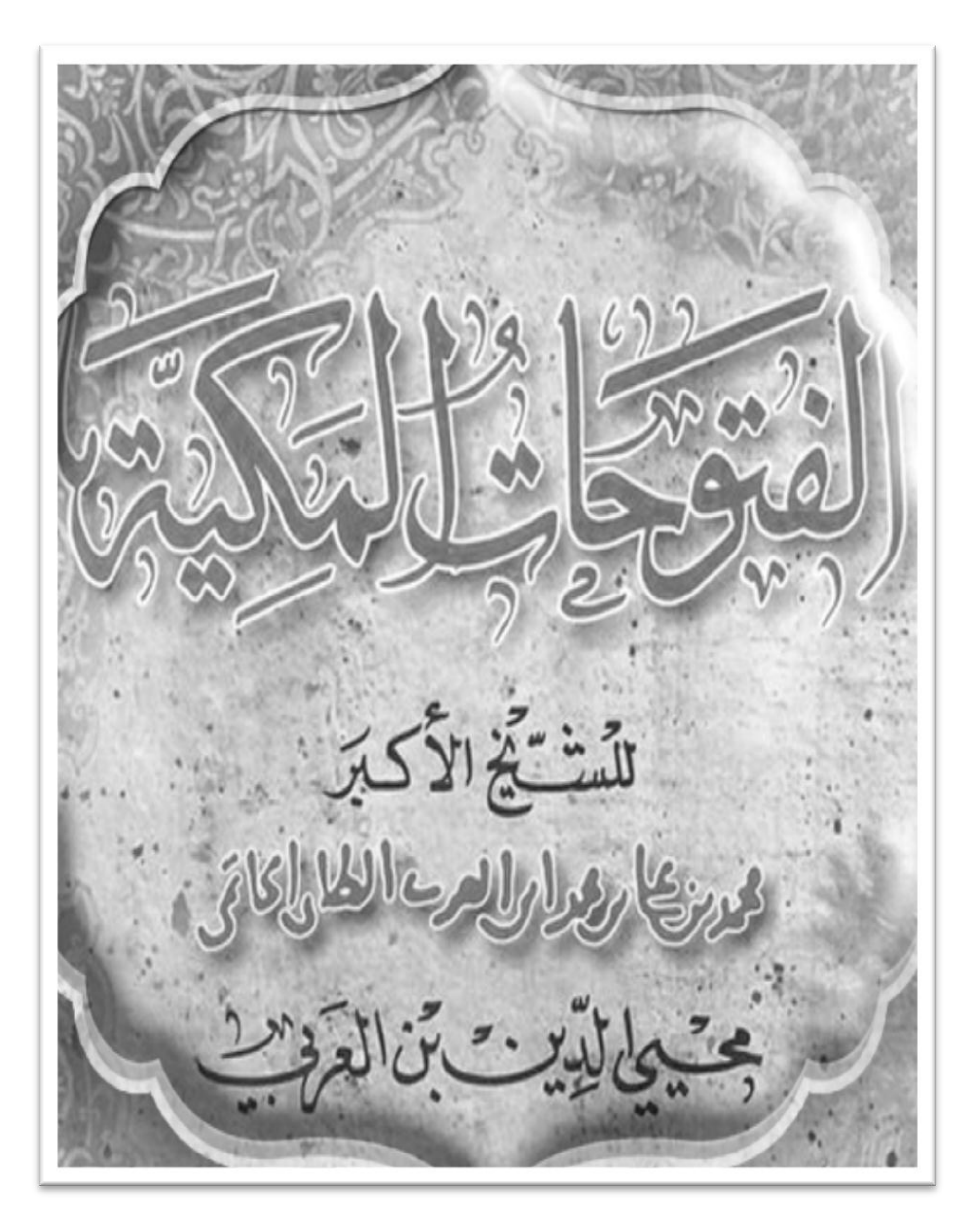
وقد جدد باب الكعبة وغشاه بالفضة والذهب، وأخذ الباب القديم ليصنع له منه تابوتا يدفن فيه وأن يحج به وهو في التابوت ويطاف به كأنه على قيد الحياة.

وله غير ذلك من المكرمات، والغريب أن الراغبين في تجديد بناء أو إقامة أو غيرها مما يختص بالحرم قد منع منه الناس حتى لا يبالغوا في تحويل مآثر مكة إلى أمور محرمة .

ومع ذلك سمح لبعضهم في إضافات وتوسعات لأسباب معظمها يتعلق برغبة أمير مكة فيما بقي له من نفقات.

رحلة محي الدين ابن عربي إلى مكة

وكتابه الفتوحات المكية



وثالث رحلة لابن عربي الحاتمي محي الدين سنة 598 وهي أقوى وأعمق رحلة انفعل صاحبها مع مكة وناسها وكعبتها وصدر عنها "ديوان ترجمان الأشواق" وقد استقر بمكة بعد سنوات طويلة من الترحال بين الأندلس والمغرب، وأهم حدث وقع له بمكة أنه لقي شيخها أبا شجاع زاهر بن رستم بن أبي الرجا الأصفهاني (ت 609هـ/ 1212م) وأخذ عنه أسانيده وبعث إلى أخته يسألها السماع فاعتذرت فأرسل إليها هذا البيت :

حالي وحالك في الرواية واحد ما القصد إلا العلم واستعماله

فأذنت لأخيها أن يكتب له إجازة في جميع مروياتها، وأصبحت هذه العلاقة عائلية طويلة الامد من خلال أخذه عن ابنة الشيخ نظام ولقبها تعلقا بها بعين الشمس والبهاء وكانت ذات أدب وفصاحة وجمال وحسن طبيعي وروحاني انتهت إلى علاقة عميقة وزواج.

ووصفها ابن العربي كما ظهرت له بمكة بأنها بنت عذراء طفلة هيفاء تقيد النواظر وتزين المحاظر وتسر المحاضر وتحير المناظر من العالمات العابدات السائحات الزاهدات شيخة الحرمين وتربية البلد الأمين ساحرة الطرف، عراقية الظرف، إن أسهبت أتعبت، وإن أوجزت أعجزت، وإن أفصحت أوضحت، وإن نطقت خرس قس بن ساعدة، وإن أكرمت خنس معن بن زائدة، وإن وفت قصر السموأل خطاه، تعالى من خلقها في هذا الحسن، وفي خلقها الذي هو روضة المزن، شمس بين العلماء، بستان بين الأدباء، حقة مختومة، واسطة عقد منظومة، حتى تحير النقاد والأدباء في حقيقة

هذه العلاقة ما بين منتقد ومبرر وعاجز عن التفسير؟ والجميع لا يستطيع أن يخفي إعجابه بهذه اللوحة بالرسم والكلمات.

ومن حديثهما أنه كان يطوف ذات ليلة بالبيت فطاب به الوقت وهزه حال غريب، فخرج من البلاط بعيدا عن الناس، وسار يطوف على الرمل، فتذكر أبياتا وأنشدها في خفاء لا يسمع؛ وفيها :

ليـت شـعري هــل دروا	**أي قلـــب ملكـــوا**
وفـــؤادي لــــو درى	**أي شـــعب ســـلكوا**
هـــل تـــراهم ســلموا	**أم تـــراهم هلكـــوا**
حـــار أربـــاب الهـــوى	**في الهـــوى وارتبكـــوا**

قال: فلم أشعر إلا بضربة بين كتفي بكف ألين من الخز! فإذا بجارية من بنات الروم لم أر أحسن منها وجها ولا أعذب منطقا ولا أرق حاشية ولا ألطف معنى ولا أدق إشارة ولا أظرف محاورة، قد فاقت أهل زمانها ظرفا وأدبا وجمالا ومعرفة؛ فطلبت منه أن يعيد ما قاله وكأنها كانت تعرفه دون أن يعرفها فأعاد عليها البيت الأول فاستوقفته وقالت: عجبا منك أنت عارف زمانك تقول مثل هذا؟ وأخذت تناقشه في الأبيات بيتا بيتا وتوضح له حال المحب الكامل الفاني في محبوبه لن يكون كما وصف؟ بل لا يكون له لسان يصف به ولا قلب يحتار به؟

فقال لها محيي الدين: يا بنت الخالة ما اسمك؟

قالت قرة العين! فقال على البديهة (لي) فكان ذلك خطبة مبدئية لها.

ثم سلمت وانصرفت ولكنها تركت في قلبه ما غير حياته الروحانية كلها لتكون أكثر ضياء وصفاء وبهاء وعطاء وليس كما يظن البعض أنها فتنته عما هو في سبيله من الزهد والعبادة فلكل شيء ميزان وقد آن الاوان وانقضى عهد الرهبانية بعد الوصول إلى بر الأمان.

ويقول في وصف مكة وتعلقه بها وبحبيبته نظام هذه الابيات:

أحـــب بـــلاد الله لي بعـــد طيبـــة — ومكـــة والاقصـــا مدينـــة بغـــدان

ومـــالي لا أهـــوى الســـلام ولي بـــه — إمـــام هـــدى ديـــني وعقـــدي وإيمـــاني

وقد ســكنتها مــن بنيــات فــارس — لطيفـــة إيمـــاء مريضـــة أجفـــان

تحيي فتحيي مــن أماتــت بلحظهــا — فجاءت بحسنى بعــد حســن وإحســان

ونختم بقصيدة من أروع قصائد الترجمان :

سَلامٌ عَلى سَلمى وَمَن حَلَّ بِالحِمى — وَحُـــقَّ لِمِـــثلي رِقَّـــةً أَن يُسَـــلِّما

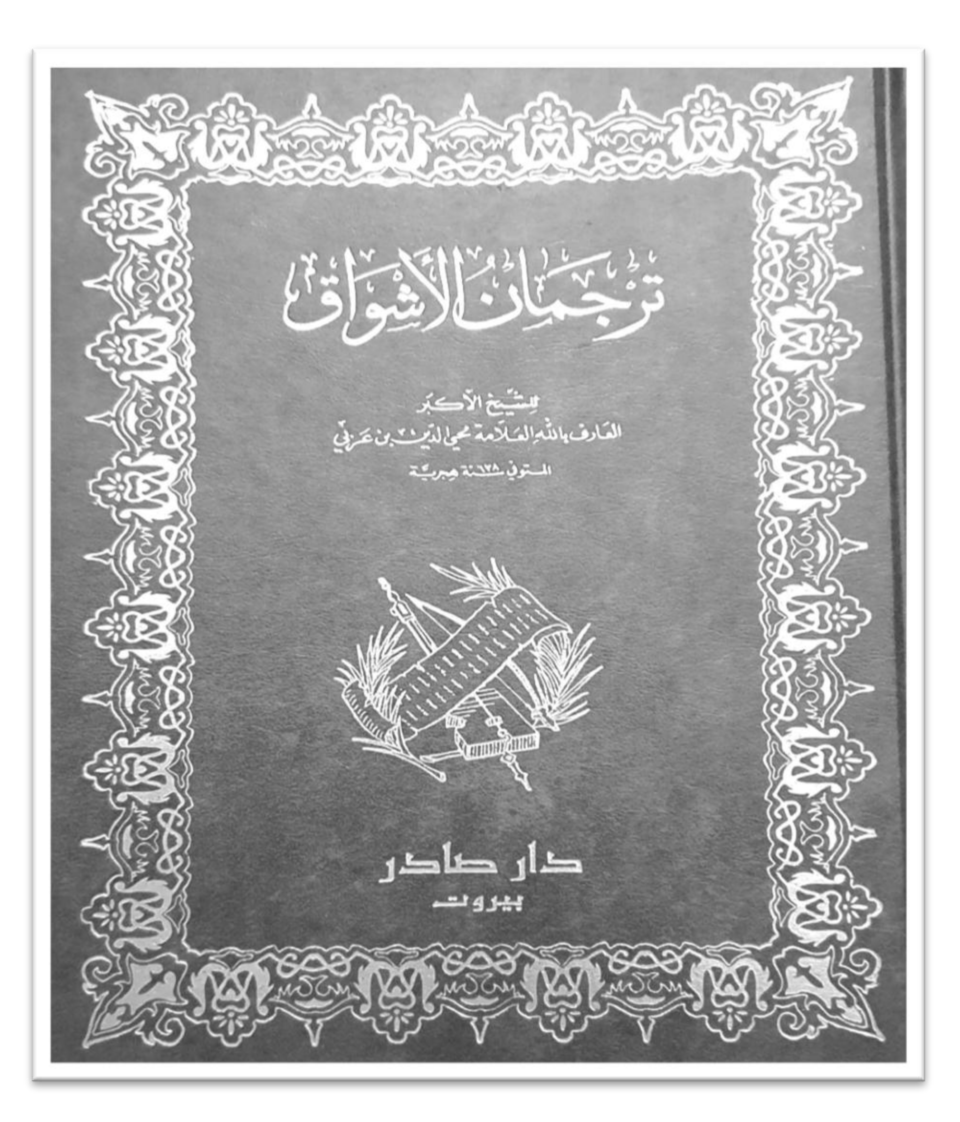
وَمـــاذا عَلَيهـــا أَن تَـــرُدَّ تَحِيَّـــةً — عَلَينـــا وَلَكِـــن لا اِحـــتِكامَ عَلى الدُمى

سَروا وَظَـلامُ اللَيـلِ أَرخى سُـدولَهُ — فَقُلـــتُ لَهـــا صَـــبّاً غَريبـــاً مُتَيَّمـــا

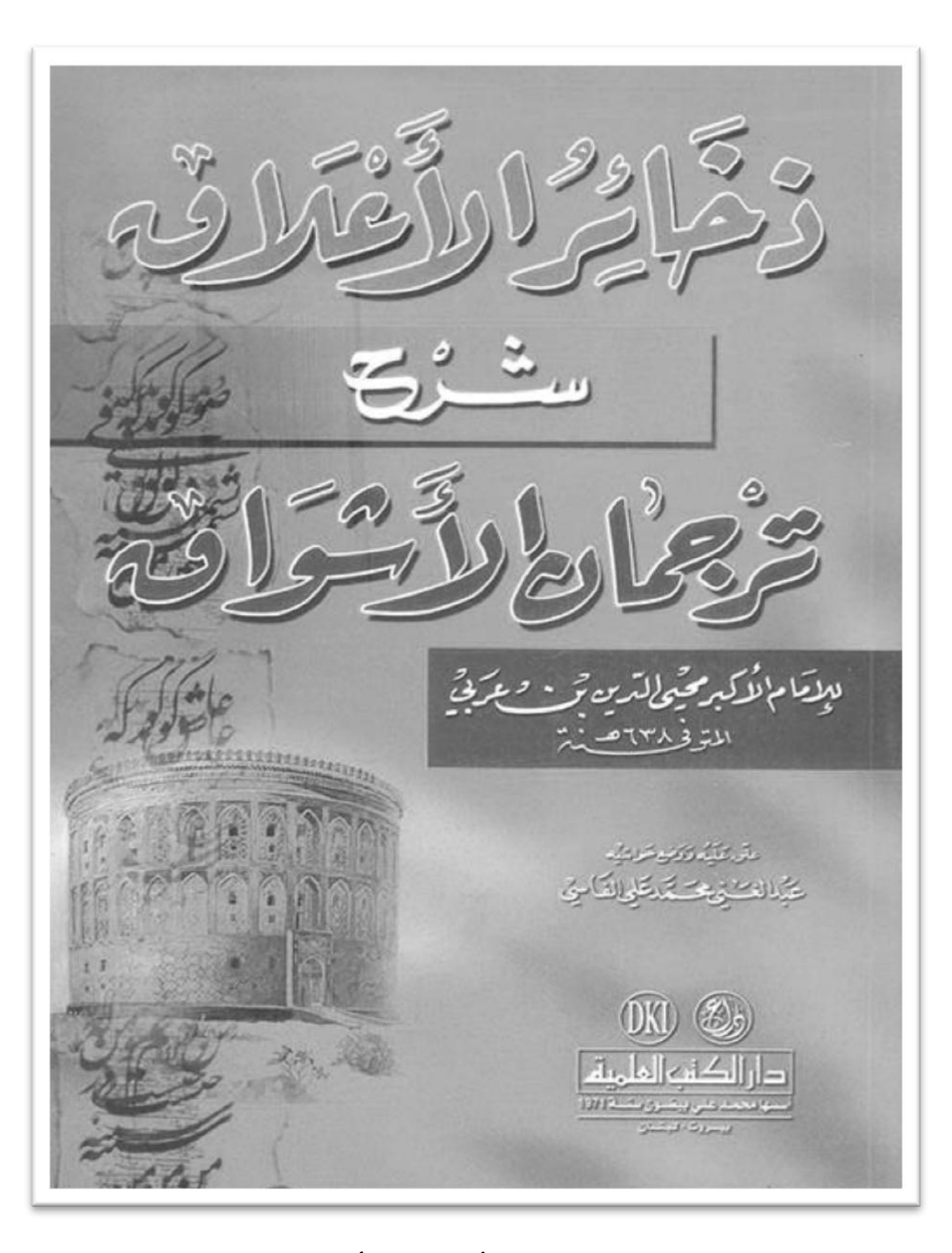
أَحاطَت بِهِ الأَشواقُ صَوتاً وأرصدت — لَهُ راشِـــقاتُ النَبـــلِ أَيّـــانَ يَمَّمـــا

فَأَبـدَت ثَناياهـا وَأَومَـضَ بـارِقٌ — فَلَـم أَدرِ مَـن شَـقَّ الحَنـادِسَ مِنهُمـا

وَقالَـت أَمـا يَكفيـهِ أَنّي بِقَلبِـهِ — يُشـاهِدُني في كُلِّ وَقـتٍ أَمـا أَمـا؟!



الديوان العجيب الوضع الذي صب فيه ابن عربي أشواقه نحو حبيبته وقرينته نظام شمس البهاء وقرة العين بمكة، والتبس الأمر على الناس فشرحه شعرا بديوان سماه ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق



هذا هو الشرح الذي حاول به ابن العربي أن يظهر للأدباء والفقهاء مقاصده الرمزية في ديوانه الأول السابق



جمع فيه ابن عربي بين الحكاية والموعظة والنصيحة وأبيات من الشعر ترويحا عن نفوس المسجونين وترغيبا لهم في الآخرة، ويرى مفتي مصر السابق علي جمعة أن تكاثر المعارف على قلب العارف يخرج العارف إلى لغة جديدة مشحونة ألفاظها برموز محيرة، وتجعل القارئ العادي لا يستطيع أن يفهم هذه الشطحات التي جعلت أحد علماء مصر برهان الدين البقاعي الدمشقي يتحامل على الصوفية في رسائل مصرية كتبت في تلك الفتنة، ومنها كتب ابن عربي ودواوين شعره مما وصله قبل ذلك وهو بمصر إلى السجن حتى برأه الله من ذلك، وانتقل أخيرا بعد رحلات طويلة إلى دمشق، حيث دفن بها في مشهد به مسجد كبير يزوره آلاف الوافدين والمقيمين بها.



مشهد مسجد وضريح ابن عربي الملقب عند أهل دمشق بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر في حي الصالحية، حيث تقام في مسجده مناسبات المولد النبوي وغيرها. وأصل المسجد أن السلطان العثماني سليم الأول قرر أن يكرم الشيخ فأعاد البناء المتواضع لجامع ابن عربي في إحدى رحلاته إلى دمشق، وكان الأتراك وغيرهم متعلقين بهذا المسجد، وطلب الأمير عبد القادر الجزائري نزيل دمشق أن يوارى إلى جوار ابن عربي فبقي تابوته الخشبي حتى نقلته الجزائر إلى العاصمة بعد ذلك بطلب من الرئاسة.

شعرية المواقف والمخاطبات
في الرحلات المغربية إلى الحرمين:



ومن أبدع ما أنتجه المغاربة بدءا من الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي (ت638هـ/ 1270م)، وصولا إلى متأخري الرحالة المغاربة في عصر الملوك العلويين بالمغرب، هذه المواقف والمخاطبات التي تذكرنا بكتاب اهتم به المغاربة شرحا وتعليقا هو كتاب النِّفَرِيّ بهذا الاسم، بدءا بابن عربي وانتهاء بعفيف الدين التلمساني (ت698هـ/ 1291م).

- وهكذا، فبالإضافة إلى ما كتبه ابن عربي في إقامته بمكة، وطوافه حول الكعبة، ووقفاته أمامها، وتوقيف بعض الطائفين من ذوي الروحانيات، وإنتاجه لكتاب لا نظير له في الغزل الرمزي بحبيبته النظام بمكة المسمى ب "ديوان الأشواق"، وشرحه "قلائد الأعلاق"؛
- تجد أمثلة أخرى عديدة في هذا الباب لعل من أطرفها فيما قرأت أخيرا مواقف الرحالة المغربي قاضي (تامسنا) أبو زيد عبد الرحمن رحو بن أبي القاسم الشاوي بعد سنة 1114هـ/ 1730م في مخطوطته التي نقل منها الدكتور عبد الهادي التازي في مؤلفه "مائة رحلة ورحلة" المطبوع بالمدينة المنورة سنة 1416هـ/ 2005م.
- وفي هذا الباب نعثر على شذرات تتعلق بهذه المواقف والمخاطبات في أماكن مقدسة بمكة في التلبية من المواقيت، وعند الطواف حول الكعبة، وعند النظر إلى الكعبة، وكذا عند النّفرة إلى منى ومزدلفة وعرفات.
- ومن ذلك ما ذكره عند الوقوف بالميقات الرحالة الغنامي آنف الذكر في مخطوطته "رحلة القاصدين ورغبة الزائرين" وعند التلبية.

يقول: "وأما الحكمة في التلبية فلأن الإنسان إذا ناداه إنسان جليل القدر أجابه بالتلبية، فكيف إذا ناداه مولاه الملك العلام، ودعاه إلى جانبه ليكفر عنه الذنوب والآثام".

قال: "كما قيل: [الكامل]

عـــــبد دعاه لقربـــــه مـــــولاه فأجابـــه بـاللـــــطف حـــين دعاه

وأتى يلبيـــــه بفـــــرط تــــذلل يــــا فـــــوزه بـــــالرّبح إذْ لبـــــاه

وأما الحكمة في الوقوف بعرفة وأخذ الجمار من المزدلفة؛ فإن فيه أسرارا لذوي العلم والمعرفة، وكأن العبد يقول:

حملت جمرات الذنب والأوزار..

وقد رميتها في سبيل طاعتك ..

أنت العزيز الغفار ..

وأما الحاجة إلى حلق الرأس بِمِنى؛ فإن حكمته بالغة.. إن فيها يقظة وتذكيرا.. لأن الحاجّ إذا وقف بعرفة، وذكر الله عند المشعر الحرام، وضحى بِمِنى، وحلق رأسه.. طهّر بدنه من الأدناس والآثام، وكتب الله له ثوابا، وضاعف له أجورا، ووقاه جحيما وسعيرا.. قال: ومما قيل: [الطويل]

إلى بابكم سعيي، وإني مقصر فقـــير إليكـــم، فـــارحموا ذِلـــة العبـــد

فـإن تطـردوني لـيس لي غـير بـابكم وإن أنـــتم جـــدتم علي فيـــا ســـعدي!

ويقول عن عرفات: وهو موضع تتنزل فيه البركات .. محلُّ الأبطال .. ومجمع الرجال .. وهو المشهد الأكبر .. الذي أنزل الله فيه على نبيه عليه السلام: ﴿ٱلْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِيناً ﴾[1].

- **وفي مخاطبة الكعبة يقول أحد الرحالة المغاربة: المنالي الزيادي (ت1163هـ/ 1750م) في رحلته سنة 1157هـ/ 1745م:**[2]

ومـــا زال وفـــد الله يقصـــد مكـــةً	إلى أن بـــدا البيـــت العتيـــق ورُكْنـــــاهُ
وقـــد كانـــت الأرواح تزهـــو لفـــرحةٍ	لِـــما نحـــن مـــن عظـــم الســـرور شَـــهِدناهُ
فصـــافحت الأمـــلاك مـــن كان راكبـــا	وعانقـــــت المـــــاشي إذا تتلقَّـــــاهُ
وطفنـــا بـــه ســـبعا رملنـــا ثلاثـــةً	فأربـــعةً مـــشيـــا كمـــا قـــد وُعدنَـــــاهُ
كـــذلك طـــاف الهاشمـــيّ محـــمدٌ	طـــواف قـــدوم مثـــل مـــا طـــاف طفنـــاه
فـــهـــذا الـــذي نـــلـــنـــاه يـــوم قـــدومـــنـــا	وأول ضيـــقٍ للصـــدور شرحنـــــاه

- **وعن الوقوف بعرفة ينشد**[3]**:**

فكـم حامـدٍ! كـم ذاكـرٍ! ومُـسـبحٍ	وكـم مـذنبٍ يشكـو لمـولاه بـلـواهُ!
وكـم خاضـعٍ! كـم خاشـعٍ متـذللٍ	وكم سائلٍ مـدّت إلى الله كـفّـاهُ!
وكم مِنْ مُـنًى نـلنا بـيـوم وقـوفنـا	وكـم مـن أسـير للمعـاصي فَكَكْنـاهُ
فـظـلّ حجيـج الله لليـل واقـفـا	فقيـل: انفـروا فـالكلُّ مـنكم قبلنَـاهُ

- **وعن الدخول إلى بيت الله الحرام ضيفا يقول القادري أبو العباس**

---

[1]. س المائدة. آ: 3.

[2]. التازي، مائة رحلة ورحلة، ج2/ 255. 256.

[3]. نفسه، 2/ 257. 258.

الحسني في رحلته الحجية سنة 1120هـ/ 1708م[1]:

وإن مــن الفضــل الذي مــنّ ربّــنـــا	عـليّ بـه فـي مكـةٍ بعـد حـجّـتـي
أتيـــت لـبيـــت اللـــه ثـــم دخلـــته	إذا بـابن عبـد الله أقـبل فـــي الـوقـــت
وصـــلى إلى الـركـــن الـيـمـــاني بـقـــربه	وقـام وصلـــى للـعـمـــود يـــن بـالـثـــبت
وبالـموضـعيـــن هـــا أنـــا عـــن يـمـــنه	أُصَـــلّي إذا صـــلّى واجلـــس في الـبيـــت

وأقول في النزول والمبيت والنحر والمغادرة لِمِنًى، والاشتياق إليها من جديد:

وقد حبستِ الطائرات بمطارات مراكش والدار البيضاء بسبب الوباء العالمي المسمى كوفيد19:

كل المُنَى في مِنًى

كل المنى في منى

كل المنى في منى

فمِنًى مُنايَ

كل المنى في منى

كل المنى في منى

فمِنًى هَوايَ

ومِنًى إذا أنا في

حِماها تُنيلُني

دوما مُنايَ

ومِنًى كأمّي حين ترفعني

---

[1]. التازي، مائة رحلة ورحلة، ج2/ 255. 256.

وتخفضني وتسهرني

وتضحك من خُطايَ

ومِنّي كجَدّي

حين يغريني بحلواهُ

ليغمز وجنتايَ

وإذا رجمت رموزها

وصرخت فيها بالدعا

أغرت بي العدو اللدود

وزودت كفي بسبع حصًى

وأعلت من يدايَ

وإذا حللت لمنحر للهدي

تشحذ همتي وتقرب الكبش السمين

إلى فِنايَ

وتكاد تحلق لحيتي

عند الفراغ

بموسِها الماضي

لتمسح من عنايَ

وإذا ارتديت الثوب

مغتسلا من الأدران

تغري شهوتي

وتزيد في صبايَ

وإذا عزمت على الفراق بكت

وساقت ريحها غضبا

لتبطئ خطوتايَ

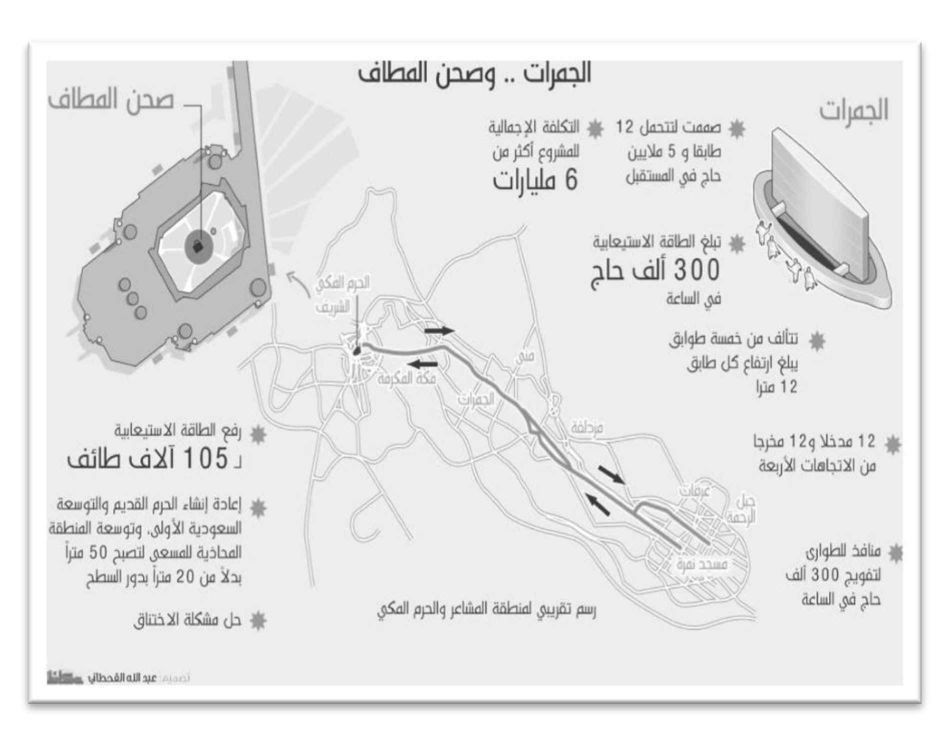
فمتى أعود إلى منى؟

وقد حالت محاجر في الدنى زمنا

وطائرة تموت بغربنا الأقصى

لتكسر من أنايَ

تمت بمراكش في بحر شوال 2020م أثناء الحجر الصحي



رسم تقريبي لمنطقة المشاعر والحرم المكي

- **وتوقفني الكعبة في مخاطبة أخرى فأبثها هذه الأشواق في أبيات مغناة بمضمون سابق ولكنه حسي محض بعنوان مشابه[1]:**

قـل للمليـحة

قل للمـلـيحـة فـي الـكساء الأسـود	مـاذا فـعـلـت بطـائف مـتـعبّد
فـأزال عـن جـسـدٍ لـه أثـوابـه	مـتـجردا من عـقـلـه ويـقـيـنـه
وغـدا أسيـر بـنـيـة مـتـعـلـقـا	بـستـارهـا الـذهبي فطـار شعاعُـه
وإذا بـه مـتـرامـيـا متـدافـعـا	يرجو الـشـفـاء بقبلـة من فـمّـه
لم يدر كيـف جرى وسـار بـه الـورى	مـسـتـنـزفـا مـن أنـفـه وشفـاهـه[2]
ذهل الـحجـيـج لـه ومـما قـد عـرى	أحـواله وثـيـابـه مـن نـزفـه
فـتـصـاغرت تـلك الـمـلـيحـة نـحـوه	ثم انـثـنـت تـدنـيـه فـي هـيئـاته
ثم ارتـقـت نحـو الـعـلاء وفـاخرت	أهل الـسـمـاء بـمـا اعـتـراه من أمـه
ضـنّت بـه عـن أن يغادر حـضـنـهـا	فـتـفـتـحـت أبـوابـهـا لـلقـائـه
وتدافـع الخلق الـمـطـيـف إلـيـه في	تـكـبـيرهم صـلـوا عليـه لـحالـه
ثم اخـتـفـى في ثـوبـهـا مـتـخلصا	من جـسـمـه مـتـلـفـعـا بـشـعـاعـه
تلك الـمـلـيـحـة فـي الـخـمـار الأسـود	تلك الـحـبـيـبة في الـنـقـاب الأسـود
تـلـك الـخـلـيـلـة فـي الـحرير الأسـود	تـلـك الـعـشـيـقـة في الرداء الأسـود

---

[1]. تمت في عمرة الربيع مارس/ أبريل 2018م، صحبة السيدة خديجة الأدوزي في نزل سويسرا بأبراج مكة من نافذة الغرفة المطلة على البيت مباشرة، وكتبه محمد البايك شفع الرسول له في يوم الفزع الأكبر وشهدت له كعبة الله بذلك آمين.

[2] وكان بي نزيف يبس على شفتي فعلا لم أتخلص منه إلا بزيارة أحد مشافي مكة في هذه العمرة فسبحان الله.

الشهداء المغاربة في سبيل الحج
عبر تاريخ طويل



ركب الحاج كما يبدو ما بين راكب وراجل وعطشان ومريض ومنهوب عبر تاريخ طويل

كانت الأسر المغربية ولا تزال تعتبر أن الحاج الذي يكتب له البقاء جوارا أو دفنا بالحجاز من الشهداء المصطفين بالاختبار كالذهب الإبريز المشحّر بالأحداث والأوصاب وغيرها.

ففي أحداث سنة 1168هـ/ 1754 . 1755م، وفي عهد السلطان المولى عبد الله حفيد المولى إسماعيل العلوي نراه يبعث إليه شريف مكة وفدا لتعزيته، فيخرج إليه العامل المغربي بنفسه لقبول تعزيته في غرق السفينة المملوءة بالحجاج من الإسكندرية قاصدة المغرب وتونس، وفيها نحو أربعمائة من الحجاج المغاربة غرقوا جميعهم إلا أفرادا على بعض الألواح والبراميل؛ فكانت الأسر المغربية تتسلى بأن هؤلاء أدركهم أجلهم بعد الوقوف بعرفة حجاجا مغفورا لهم[1].

ويتحدث الرحالة محمد الحنفي الحيّوني من قصر بني حيّون على الضفة الغربية لنهر (دَرْعة) بواحة (لكتاوة) سنة 1262هـ/ 1846م عن وباء آخر ما بين وباء 1246هـ ووباء 1288هـ، وقد شاهد الرجل يسقط من على جمله دون أن يشعر به، وهكذا تتالت الموتى حتى طارت العقول وييس الريق في أفواه الرجال خلال واحة (فزان) بليبيا، و(سيوة) بمصر.

ورأى رجلا هناك يحمله أهله على الألواح مع بنته ويتبعه رجل من سفيان وكان اكترى لهم الإبل.

ودقَّ طبل شيخ الركب ليعلن الوفيات! وسقط في صباح اليوم الثاني آخر، وكثر الموت، وأخبروا بأن الطاعون منتشر بمكة وهم في طريقهم إليها، وشدّ الرجال الحبال فوق الإبل حتى وصلوا إلى ينبع، فوجدوا العسكر قائما من قبل السلطان العثماني .. ومات ثلث الركب: ثلاثون ما بين نساء ورجال، ووقعت الفتنة .. وسارت الركبان والموت يتبع آثارهم إلى أن وصلوا إلى مكة!

---

[1]. **مائة رحلة ورحلة، التازي، ج1/ 327 . 330.**

ومع ذلك يحمل الشوق الرجال والركبان على السرعة للوصول إلى مكة! ولم يؤثر فيهم ما عايشوه من المصائب، وفي وادي فاطمة لقي أهلُ مكة الركبانَ بالفواكه والتمر والخبز وأنواع الأطعمة، ودخلوا مكة بالأفراح، وإن كان الجوُّ غيرَ ملائم ليلا ولا نهارا، مع كثرة الجنائز التي تُحضر إلى الحرم للصلاة كل مرة!

وقد انتقد الرحالة الحيوني آنف الذكر مع كل ذلك مظاهر بمكة لفتت نظره رغم الوباء؛ مثل: كثرة ما بأيدي أهل مكة وتجارها من عملات، واختلاف زي أهل مكة عن زي المغاربة وكذلك نساء مكة، وآخر سوق العبيد بها بشارع الصفا.

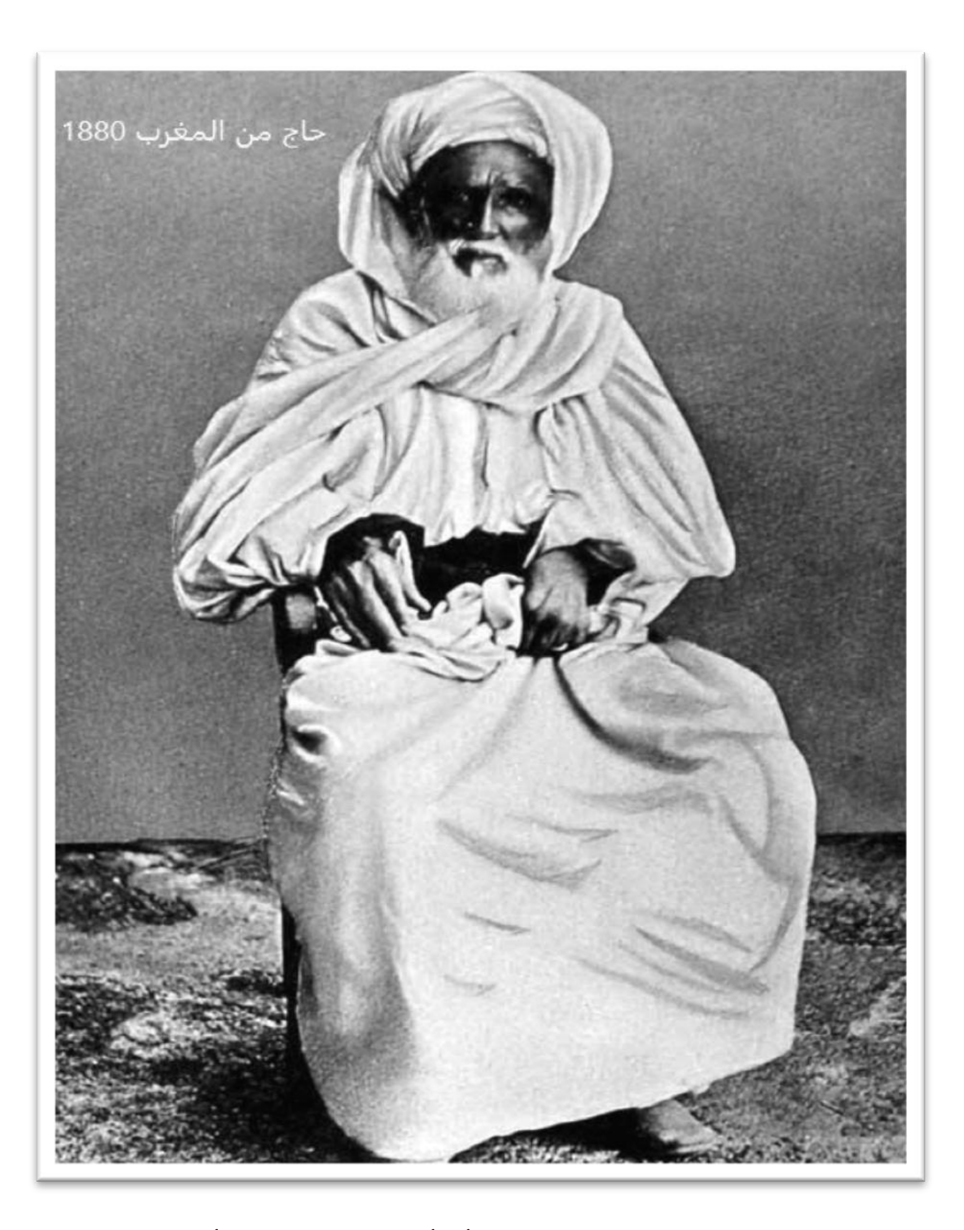
وقد أوصى الرحالة العامري التازي الحاج المغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري/ ق18م، بوصايا من خلال تجربته في صيغة قطعة شعرية من البحر الخفيف يقول[1]:

أَزْمِع السير إن دُهيت بأدوا[2]	**لشفيع الأنام فهو الدواء**
واتخذ للفصول خير لباس	**سيما عندما يجيء الشتاء!**
لا تقلل من استقاء؛ فكم من	**سوء خلق إذا يقل الماء**
واتخذ يا فتى من العطر شيئا	**رب وقت يكون فيه الشراء**
ثم لا تنفرد عن الركب لمحا	**إن ذاك يساق منه البلاء**
لا تفارق جماعة الشيخ كي لا	**تستبد بتيهك التيهاء**
ثم أحكم ربط البهيمة في الرو	**ضة كي ما ينال منها الهِناء**

---

[1]. مائة رحلة ورحلة، 1/ 358. 359. والهِناء: القطران.

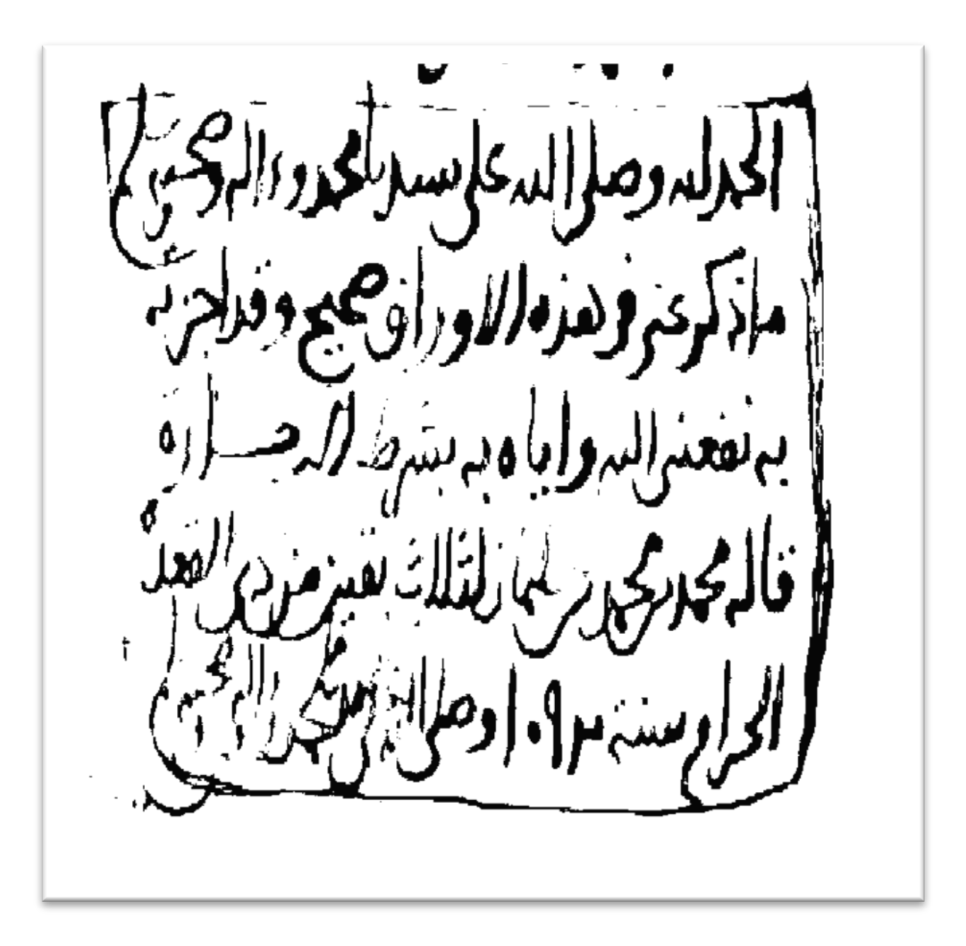
[2] أصلها بأدواء فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.



صورة حاج مغربي بلباسه التقليدي بعد أن أدى المناسك كلها وأحل واستراح

وترجع إلى سنة 1880

الطبع المغربي المالكي المحافظ في أمور النساء والمعاملات يصطدم مع طبائع أهل مكة المنفتحين على مختلف التيارات باعتبارهم واسطة عقد الأرض مكانة ولغة وطبائع وأزياء وعادات وإصلاحات الشيخ المغربي محمد بن سليمان الروداني بمكة



الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ما ذكر عنه في هذه الأوراق صحيح وقد أجزته

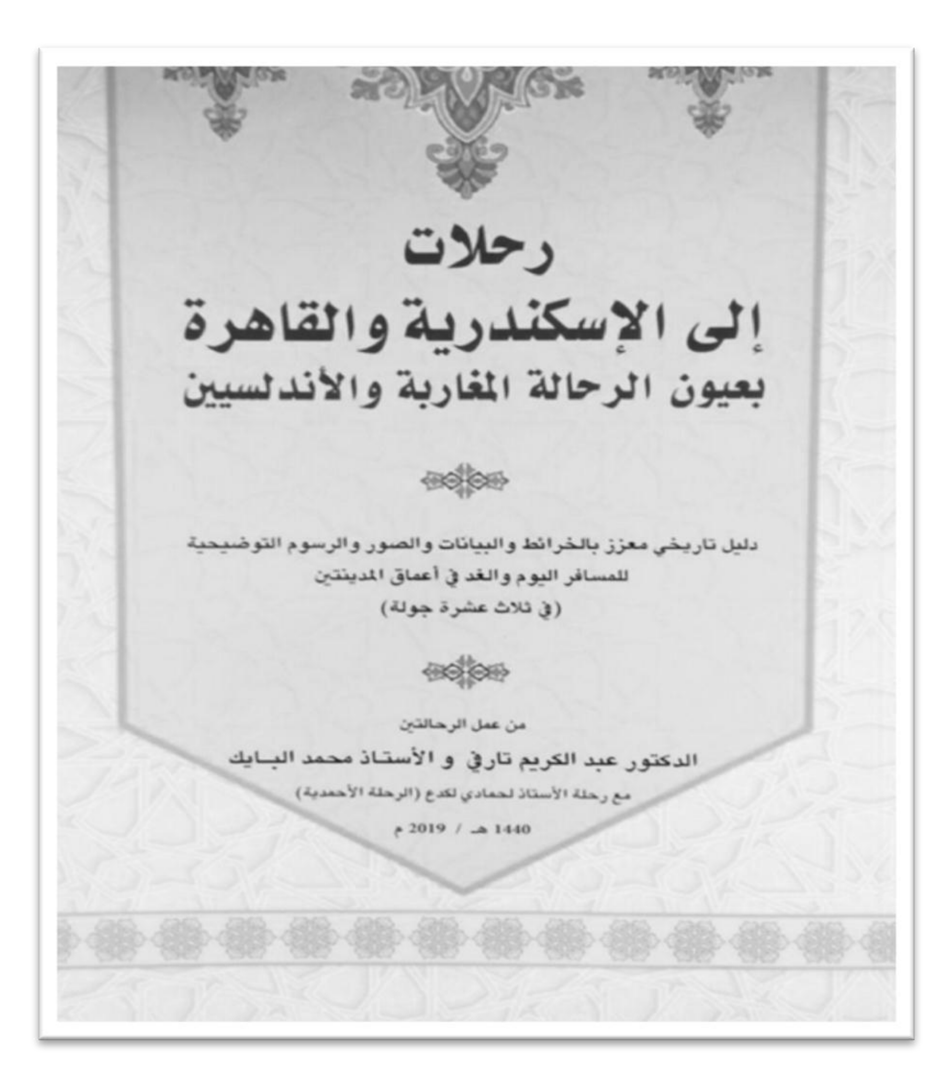
[illegible]

[illegible]

الحرام سنة 1092 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

صورة نادرة لخط الروداني بالإجازة منه في أوراق وقد استجازه أحدهم وفي آخرها اسمه وتاريخ الإجازة والسنة

- يلاحظ في سلوك بعض الحجاج المغاربة سواء أثناء حلولهم بالقاهرة أو بالحرمين؛ ما يلفت نظرهم من اختلاف طبائع المشارقة عن طبائع المغاربة في أمور يتحفظ فيها المغاربة ذوو الطبع المعتدل الهواء والمزاج والسكنى، عن طبائع أهل مصر والحجاز المائلة إلى الوخم والحرارة والاختلاط بين الأجناس في أمور تُشاهد في الشوارع فتثير حافظتهم وهم الممتلئون شوقا والمتجهون إلى أطهر البقاع على الأرض، وقد امتلأت أسماعهم بحب أهل المشرق والحجاز دون أن يطلعوا على طبائعهم المختلفة عن طبائع أهل المغرب؛ سواء أكان ذلك في لباس المرأة أو في الجلوس في المقاهي والشوارع، أو تناول التبغ وغيره عيانا، أو في إقامة المواسم المشتركة بين الجنسين في بعض المزارات والمساجد والأضرحة والمقابر وغيرها.



في هذه الرحلة حديث طريف عن مغاربة الإسكندرية والقاهرة قاصدين الحج ماكثين في حي السيدة زينب رضي الله عنها، متزودين من دشيشة مطاحنها الضخمة، مارين بين الأزهر والحسين، وقد لفت أنظارهم جلوس القاهريين بالمقاهي ممسكين بلفائف الشيشة، مما لم يعهدوه بالمغرب، محاولين تغيير ما رأوه منكرا بأيديهم، متعرضين للقبض والمكوث بسجن القلعة إلى حين العفو عنهم والتحاقهم بركب الحاج المصري.

وهكذا ينقل لنا الرحالة الجزائري المغربي أحمد بن عباس بن عامر (ت1205هـ/ 1790م) لوحة في رحلته الحجية عن تشدد المغاربة في أمور من هذا القبيل؛ يقول:

- "وقد وقع بالمدينة نظير ذلك [..] (أي خروج النساء في المناسبات واحتفالهن بها والرجال)، فسعيت في منع اختلاط النساء بالرجال في ليالي المولد، والمعراج، وموسم سيدنا حمزة، وموسم الحج! فعارضني جمع ممن العلم في عمائمهم دون قلوبهم!! وأغروا بي السفهاء! حتى إنهم سعوا إلى قتلي!!"[1].
- وأغرب من هذا وأعجب ما نال الرحالة المسند المحدث والموقت العبقري وصانع آلات التوقيت والمشاريع العمرانية الكبرى بمكة: ابن سليمان الروداني السوسي المغربي (ت1094هـ/ 1683م)، خلال العصر السعدي بالمغرب فيما نقله عنه أبو سالم العياشي (ت1090هـ/ 1679م) معاصره وكذا تلميذه الروداني علي بن تاج الدين السنجاري في (منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم)[2]، وقد نعته العياشي آنف الذكر ب:

"حكيم الإسلام، وأحد العلماء الأعلام، المتوقد فطنة، والمتوهج ذكاء، والممتلئ حكمة وإيمانا، لم يرشح له وعاء، ولا حُد له وكاء، توغل في أقطار الأرض وجال، وبلغ على حداثة سنه مبلغا عجز عنه فحول الرجال، من المتقنين لعلوم كثيرة"[3].

---

1. رحلة الرحلات، ج1/ 395.
2. أعد الكتاب الدكتور جميل عبد الله محمد المصري وآخرون، جامعة أم القرى. مكة، 1419هـ/ 1998م.
3. رحلة الرحلات، ج2/ 221. 222.

- .. ودخل فاس ومراكش، وانتقل رحالة عبر الجزائر حتى انتهت رحلته إلى المدينة المنورة، ولم يخرج عنها إلا إلى مكة المكرمة والبلاد الأفريقية، واستانبول عاصمة الأتراك، فاصطدم مع جمود علمائها الأحناف، وانتقل إلى مصر والصعيد واتصل بكبار مشايخ وعلماء الأزهر، وراسل شيخ المالكية علي الأجهوري حول موضوع "لباس الصوف الوارد من بلاد الروم" من حيث طهارته بدون شك، وختم بالحجاز حاجا قبل أن يختار المدينة حيث اعتزل العامة وانقطع إلا من بعض الدروس في بيته المشرف على الحرم النبوي الشريف.

وقد وصفه العياشي ب: الطبع المنقبض المتجهم للخلق، وعدم معرفته لأهل زمانه، وضيق حوصلته ومصارحة من يعتقد أنه على الخطأ أيا كان.

وقد ولي نظارة مكة وأعباءها الكبرى؛ فتصدى للجميع محاولا الإصلاح والتصرف المطلق فيما يراه صوابا لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وكان يحمل فكرا إصلاحيا لم يجد الجو المناسب لتحقيقه فتحدى الجميع.

بصمات كبرى سجلها له التاريخ بمكة؛ منها:

1. الأكل من كسب يده الصَّناع؛
2. عمل الأسطرلابات؛
3. جبر قوارير الزجاج المتصدعة؛
4. اختراع الأدلة الجامعة في علمي التوقيت والهيئة؛
5. وكان له الدور الأكبر من بين المجاورين الذين يفضلون البقاء بمكة؛

6. وبادر في موجة الغلاء سنة 1079هـ/ 1670م، بمكة مع مجاورين آخرين كبار منهم أبو مهدي عيسى الثعالبي مسند مكة، والرجل الصالح عبد الرحمن الزناتي وكلهم مغاربة ففتحوا اكتتابا لإعداد وجبات لفقراء مكة وكتبوا للشريف من آل نمي ولسائر الأعيان حتى كان ذلك سببا في ظهور الروداني أول مرة بمكة.
7. وتجرأ فوضع مزولة من اختراعه في المسجد الحرام وبنى لها قوائم على طول قامة الرجل!؟.

حصول محمد بن سليمان الروداني المغربي على مرسوم من الاستانة بتعيينه ناظرا للحرمين وإصلاحهما حتى أذعن له الشريف بركات، فقام بمجموعة من الاصلاحات الجريئة



ومنها:

1. فبدأ بإجراءات مفاجئة أولها إخراج من كان بالخلاوى الموقوفة من المساكين، وانتزعها ممن كان له بيت يأويه وأسكن بها طلبة العلم، فقام عليه الكثير وأظهروا ما بأيديهم من وثائق فلم يجد ذلك منهم نفعا؛
2. وأمر بأن تقرأ أجزاء من ربعة السلطان المصري الشهير قايتباي الموقوفة مع قراءة البخاري؛
3. وأمر أن تكرى جميع الأوقاف بأجر المثل بدل الكراء القديم؛
4. وأخرج الشيخ إبراهيم زاده من وقف الدوري لأنه كان دَشيشة للفقراء؛
5. وعمّر أوقافا كانت خربة؛
6. وغيّر من هيئة التدريس والقضاء؛
7. وصرف على الدشيشة من أكرية (جمقمق) و(قايتباي) ومال الحرمين؛
8. وزار موضع الدشيشة الكبرى مع كبار العسكر وبعض طلبته وغرف بنفسه من الشربة، وشرب منها وسقى ثم فرقت على الفقراء؛
9. وعزل من مخالفيه الشيخ المنوفي؛
10. واقترح على الباب العالي إصلاح عين عرفة؛
11. وتأكد الناس أن الشيخ الناظر الروداني سبب رئيس فيما وقع من عزل وتنصيب حتى لبعض مساعدي شريف مكة بركات؛
12. وقام بتنظيف الحجون[1]، وإصلاح مدرج منى مع ذلك؛

[1] **يبعد عن الحرم ب 2 كيلومتر وبه مقبرة المعلاة على سفح جبله.**

13.وشيّد عمارة ملوكية بجوار المدرسة الداوودية؛

14.وفاجأ الجميع بإصلاح مقبرة المعلاة وجعل لها أربع جدارات وفصلها كرقعة شطرنج، فاعتبر ذلك هتكا لحرمة الأموات من الجميع، حتى قال فيه بعضهم:

فحين عم الأذى الأحياء منه غدا ... مفتشا لأولي التوحيد في الرمم

طريقة من شقاء ما تناقلها ... أهل التواريخ من عرب ومن عجم

15. وتصرف في متروك الشيخ محمد الزرعة على خلاف وصيته، وأضاف ذلك إلى زكاة بيت المال؛

16. ومنع إقامة موسم الشيخ العيدروس المقام سنويا بمكة، يشهده الرجال والنساء عادة، فزاد في إثارة الجميع عليه، وتشاءم الناس من هذا الفعل، واعتبروا وفاة أحد مؤيدي الشيخ الروداني في تلك المناسبة من تلك الوصمة.

- وتسببت هذه الفتنة من عزل الشيخ من قبل الوزير العثماني مصطفى، فاضطر إلى لزوم بيته وإغلاق بابه بعد خمس سنوات من تصرفات غير معهودة قام بها رجل مغربي غير معهود، وكان يمكن أن يؤدي ذلك إلى ما لا تحمد عُقباه، لولا صدق الروداني وحسن نيته، وانتهى بإصراره على البقاء بمكة إلى موسم الحج قبل هجرته أو لجوئه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد أن قصد الطائف، حيث تخلص الناس بمكة من وجوده قبل التجائه إلى المدينة خوفا على نفسه!

ثم ورد الأمر بإخراجه من الحرمين كلية، فالتجأ الشيخ إلى الشام سنة 1094هـ/ 1683م، فمات فجأة إما حزينا أو مسموما شهيدا كما قيل! [1]

وترك مع كل ذلك مؤلفات باذخة في علوم شتى، رغم أنه أتى أهل مكة بما لا قبل لهم به، شأنَ بعض المصلحين الكبار الذين لا تستقر هممهم على أمر حتى يقوموا بأمر أكبر منه، ومن الشخصيات القلقة في الإسلام عامة والمغرب خاصة رحمه الله وغفر له، وقبل منه اجتهاداته وعفا عن أخطائه مجتهدا تارة ومخطئا أخرى.

وهو نموذج من النماذج التي تبقى بطبع مغربي منافح مجاهد قلق مهما كانت الأزمنة والأمكنة والظروف؛ نذكر منهم: ابن خلدون رحمه الله الذي رغم تجاربه وممارساته بالأندلس والمغرب فإنه لما ولي قضاء مصر لم يصبر عليه المصريون الذين ألفوا استعمال الوجوه والبراطيل والوسائط! والرجل مغربي لا مدخل له في ذلك حتى اضطر السلطان المملوكي آنذاك إلى عزله فاستراح منهم وأراح، رحم الله الجميع[2].

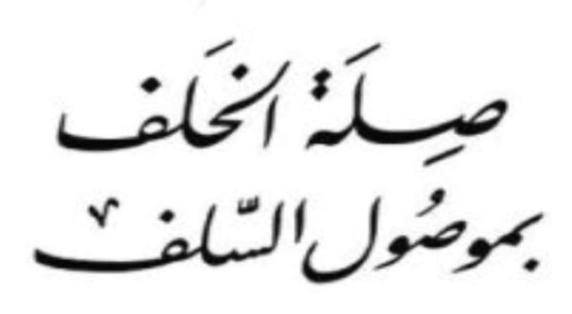
---

[1]. رحلة الرحلات، ج2/ 221 . 235.

[2]. راجع (شفاء السائل) لابن خلدون.



هذه إحدى اختراعات الروداني السوسي وتسمى بالكرة الرودانية يعرف بها التوقيت في سائر البلدان، وتغني عن كثير من الحسابات والآلات الهندسية وقد ألف رسالة يشرح فيها استعمال هذه الآلة سماها "الناقعة على الآلة الجامعة"



لمحمد بن سليمان الروداني
المتوفى عام 1094هـ

تحقيق
الدكتور محمد حجي



إحدى مؤلفات الروداني العديدة من تحقيق: أستاذنا العميد المؤرخ محمد حجي

دور الزوايا السنوسية وغيرها في استقطاب أهل الحجاز ونجد واصطدامها مع الحركة الوهابية



تبدو في الأفق على اليمين الزاوية السنوسية مطلة على الحرم

ومحاطة بدائرة بيضاوية الشكل

وقد أسست الزاوية الرئيسة للحجاز على مبنى جبل أبي قبيس، وفي الثاني عشر من رجب من كل عام، وقد أدت السنوسية أدوارا جهادية وتربوية في شمال أفريقيا وأرض الحجاز وفي الجزيرة العربية وحتى بين الأعراب الذين لا يخضعون لأية سلطة زمنية، وحتى في نجد وقبائل حرب في طريق الحج؛ حتى تعرضت من قبل (الإخوان) الوهابيين مرات للهدم والتخريب عمدا في طريقهم إلى الحج خلال سنة 1885م وما قبلها وما بعدها[1].

ولا تزال بعض الزوايا رغم سيادة وهيمنة المذهب السلفي تتخذ لها أماكن معزولة عن أنظار هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخاصة الزاوية المنافسة الأولى للدعوة الوهابية في جل أقطار العالم، وخاصة أفريقيا والمغرب حيث ضريح الشيخ التيجاني، وهو مزار سنوي أو دوري للأفارقة.

وقد انجلت نسبيا هذه الهيمنة بعد، وقد قلص نفوذ الهيئة بمراسيم ملكية في مجالات الهيمنة على تعليم الفتيات والحسبة عليهن بسبب احتراق معهد لهن بالجشلة ومنع المسؤولين للإطفاء من الإنقاذ بدعوى انكشاف عورات الفتيات!! وتتابع هذا التضييق بعد وقائع ذهب فيها بعض الممارَس عليهم العقاب نتيجة التعذيب وشكاوى من الناس والدخول مع الشباب في مشادات كلامية وممارسات وتدخلات.

---

[1]. **صفحات من تاريخ مكة، مصدر سابق، 2/ 398. 399.**

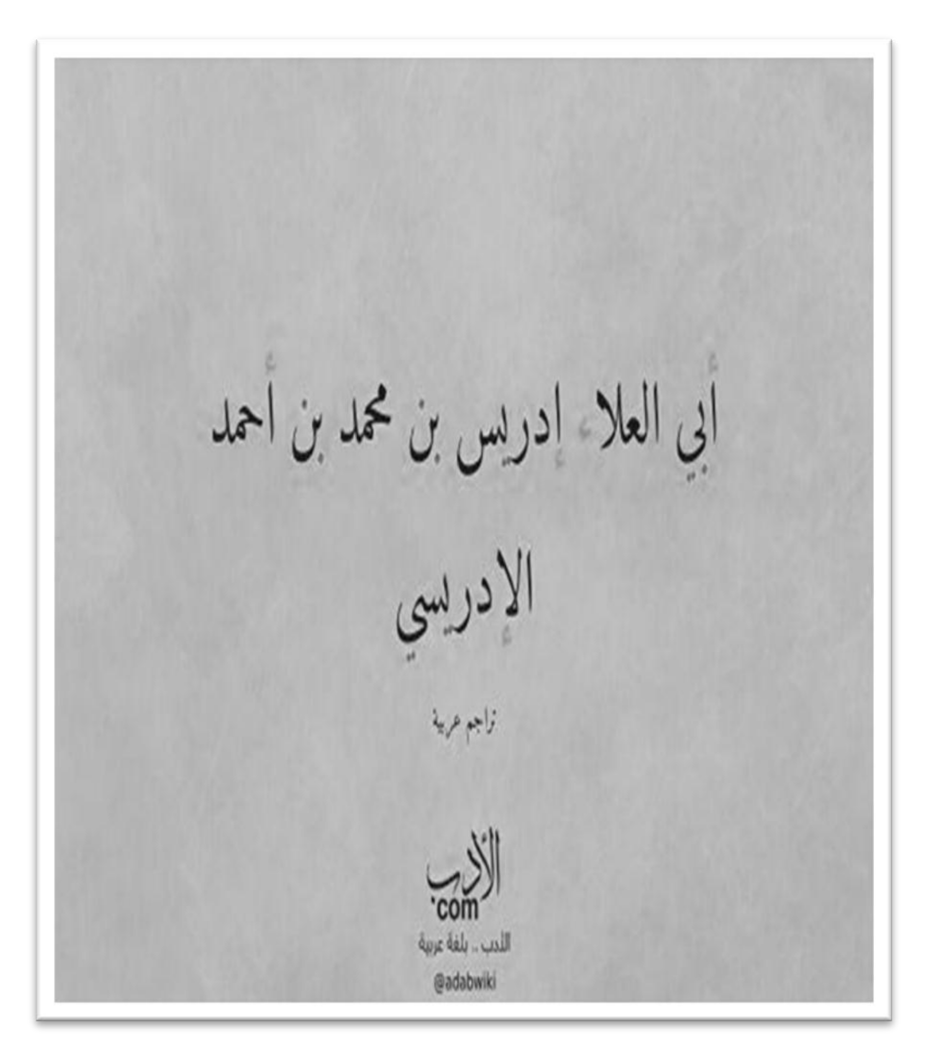


الشرفاء القادريون البودشيشيون امتداد للزوايا المغربية التي شعت على المشرق والمغرب وما بينهما ويمثل شيخنا سيدي جمال اليوم فرعا من فروع هذه الدوحة الممتدة ظلالها إلى الآفاق في تواصل مع الملوك المغاربة انتهاء بملك المغرب اليوم محمد السادس



مشهد فريد للشيخ جمال الدين القادري البودشيشي

في تواصل ومباركة ودعوات للملك محمد السادس في قصره المنيف



أبو العلاء إدريس محمد الادريسي شاهد على تحولات بمكة وانتقالات من التسيير القديم لشرفاء مكة إلى عهد جديد للحركة الوهابية الجديدة

ونحن نختار من هذه الردود والانطباعات والارتسامات والتقاربات بعض النماذج للرحالة المغاربة الذين صادفوا هذا الشد والرد بين أهل مكة والحجاز المنتمين إلى العثمانيين ومن معهم من المصريين وبين الحركة النجدية لأتباع ابن سعود ومحمد بن عبد الوهاب:

1. **النموذج الأول**: علي باي العباسي سنة 1221هـ/ 1806 . 1807م، خلال رحلته من إسبانيا والمغرب إلى المشرق والحجاز؛

2. **النموذج الثاني**: الرحالة أبو العلاء إدريس الإدريسي، في ثلاث رحلات ما بين 1225 . 1266هـ/ 1810 . 1850م؛

3. **النموذج الثالث**: الرحالة أحمد بن المأمون البلغيتي سنة 1348هـ/ 1929م؛

4. **النموذج الرابع**: الرحالة الرهوني 1355هـ/ 1937م.

مكة والمدينة في القرن(13هـ/ 19م) في عيون ثلاثة من الرحالة المغاربة وغيرهم

الرحالة علي باي العباسي الاسباني الأصول يشهد سقوط حكم الشريف بالحرمين وصعود حكم ابن سعود (1221 . 1222هـ/ 1807م)، وحكاية فتوة متشددة لم تنته بعد منذ مائتي عام:

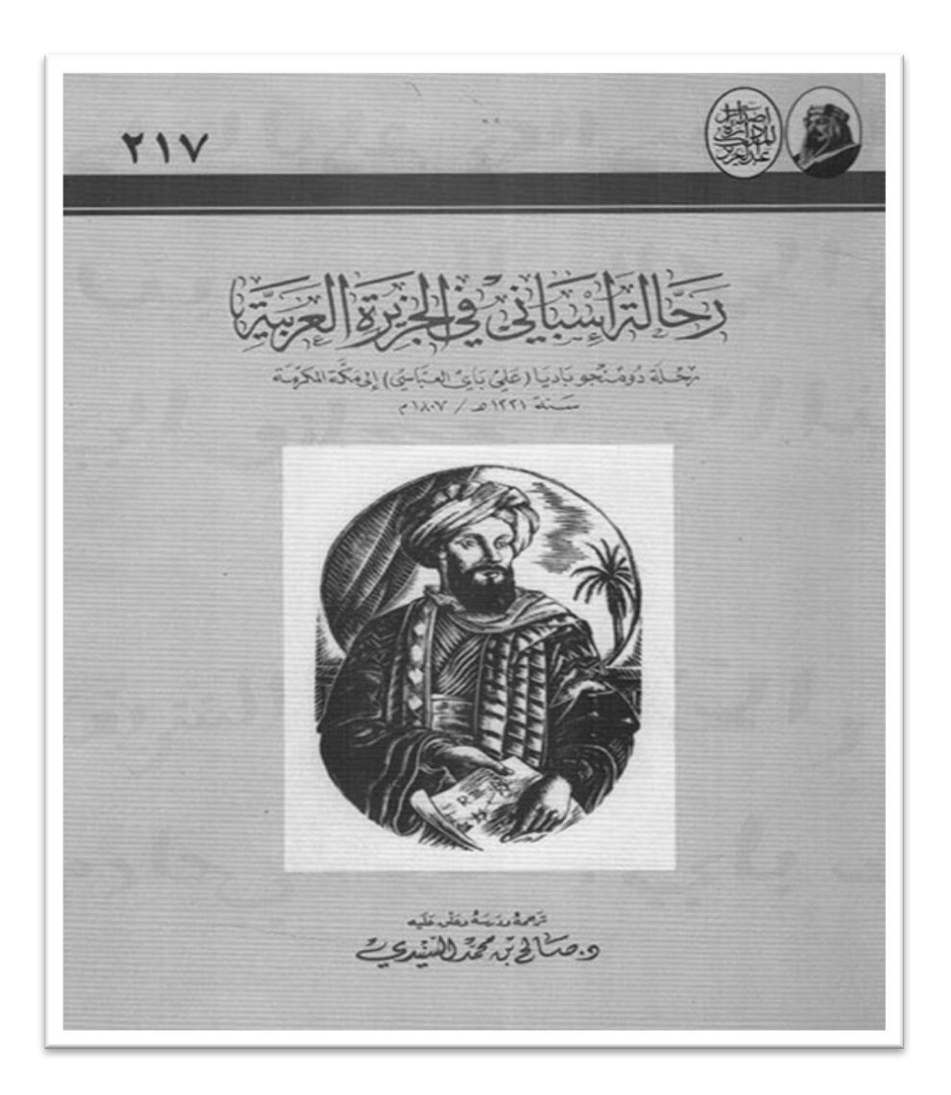
"وعندما كان [علي باي العباسي] يؤدي مناسك الحج في مكة صادف مجيء طائفة من الوهابيين بفريضة الحج؛ وكانوا حليقي الرؤوس، شبه عراة، مدججين بالسلاح فأحدثوا الرعب في السكان، ولكن ما أتيحت الفرصة لعلي باي كي يتصل بهم [..] حتى اكتشف فيهم مجموعة من الفضائل [..] أعظم مما وجده عند بقية العرب [..] لا يسرقون أبدا؛ سواء بالقوة أو عن طريق الخديعة، أوفياء لرؤسائهم،

يتحملون كل ألوان المعاناة، ويتبعون قادتهم ولو إلى آخر الدنيا، لا يتراجعون أمام أي خطر أو صعوبة!!

ولكن يرى؛ بعد تأمل في موقفهم وعقيدتهم جيدا؛ أن مثلهم الأعلى الديني والاجتماعي سوف يلقى معارضة قوية تحول دون انتشاره في المناطق الأكثر غنى وتقدما؛ لتشدده وصرامته واصطدامه مع العادات والتقاليد [..] إذا لم يخفف الوهابيون قليلا من تشددهم [..] فيبدو لي أن من المستحيل أن تنشر الوهابية في بلاد أخرى أبعد من هذه الصحراء"[1].

---

[1]. **مائة رحلة ورحلة، عبد الهادي التازي، ج2/ 430.**



إحدى طبعات رحلة علي باي العباسي إلى مكة من إصدارات دارة الملك عبد العزيز

وقد خصص مكة والمشاعر بأجمل وأقرب الرسوم إلى الواقع في رحلته الفريدة

وكذلك الرحالة المغربي أبو العلاء إدريس الإدريسي، في ثلاث رحلات ما بين 1225 . 1266هـ؛ وصورة ثانية عن تصورات الوهابية بالمدينة المنورة:

- لوحة صارخة عن محاولات العثمانيين استرجاع المدينة دون جدوى، وتصرفات الإخوان الوهابيين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

"يحاول مؤلف الرحلة تقديم الأمير سعود حسب ما سمع من أهل محمد علي .. أنه كان يضرب الناس إذا رآهم يقرؤون (دلائل الخيرات)، وكان أصحابه لا يسمحون لأحد بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإن وجدوا أحدا ضربوه إذا كان آفاقيا؛ قال: .. ومن ذلك ما وقع لوالدنا .. وكنت معه، ولقد وقف .. يشتري من عطار شيئا فتخالفا فيما بينهما .. فقال والدي: .. يا هذا! صل على النبي!.. فضربه رجل من الوهابية، كان واقفا يسمع، بعصا على ظهره! وقال له: يا مشرك! .. فجاءنا الوالد مذعورا .. فما استطعنا بعد ذلك أن نظهر في المدينة خوفا من الوهابية ..

قال: وكان الأمير سعود ينهى الناس عن شرب الدخان وحلق اللحى ..

ومن جهة أخرى .. أنه لم يكن مهتما بمظاهر الملك والحكم والسلطة، ولم يكن يفعل شيئا من هذا الناموس الذي يكون للملك؛ فإذا رأيته ظننت أنه واحد من قومه! قال: وكان الوهابيون أشد بغضا للأتراك!"[1].

---

[1]. **مائة رحلة ورحلة، عبد الهادي التازي، ج2/ 492 . 493.**

مكة بين عهدين أواسط القرن 14هـ وأوائل القرن العشرين (1344هـ/ 1925م) ورحلة أحمد بن المامون البلغيتي (1348هـ/ 1929م)



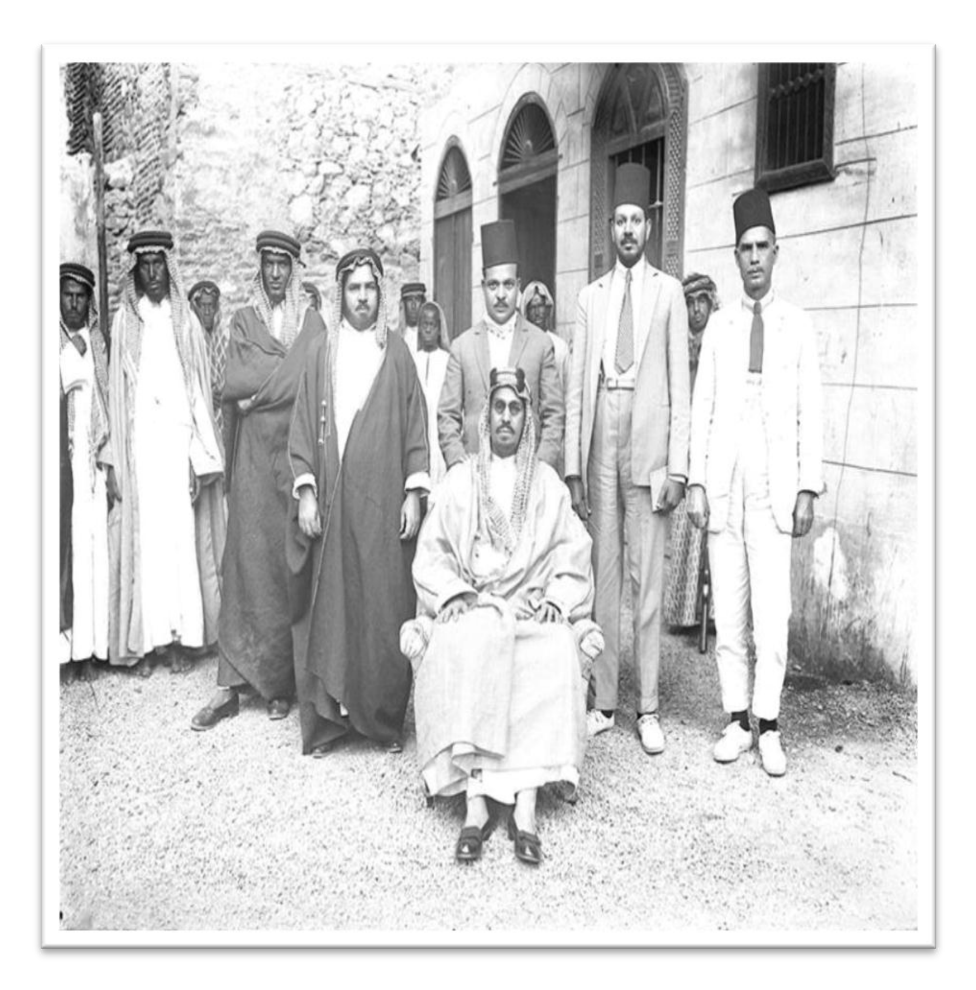
صورة لأحمد بن المامون البلغيتي في شيخوخته بلباس مغربي: "جلباب وعمامة وسلهام" وشهادة حية له عن الفترة الانتقالية من حكم شرفاء مكة إلى حكم الملك عبد العزيز بن سعود

وكذلك رحلة أحمد بن المامون البلغيتي (1348هـ/ 1929م)، وحكاية انتقال السلطات بين الشريف علي بن الحسن وعبد العزيز بن سعود، وتصرفات الإخوان المستغربة:

"فقد تنازل الشريف علي بن الحسين عن الحكم .. وتعهد السلطان عبد العزيز بن سعود بأن يمنح العفو عن الأسرى مقابل أن يسلم له جند الشريف على جميع أسلحتهم، وهكذا غادر جدة يوم 6 جمادى الآخرة سنة 1344هـ/ 21 دجنبر 1925م.. ولا يخفى ما يحدث في هذه الظروف من عمليات لعودة استتباب الأمن واحتواء كل الحركات المتطرفة لما كان يعرف بحركة الإخوان الذين قاموا ضد ظهور التلفون والتلغراف والسيارة"[1].

[1]. **رحلة الرحلات، عبد الهادي التازي، مصدر سابق، 2/ 580.**

مكة في عهد عبد العزيز آل سعود في رحلة الرهوني 1355هـ/ 1037م ورحلة شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي



صورة نادرة للملك عبد العزيز آل سعود في أول قدومه إلى مكة

وكذلك شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم الذي ألقى قصيدة بين يدي عبد العزيز آل سعود



الشاعر محمد بن إبراهيم المراكشي الملقب بشاعر الحمراء يطل علينا من خلال ديوانه ومحل إقامته روض الزيتون وهو حي من احياء مراكش العتيقة

لوحة الشاعر الرسام بالكلمات عن عبد العزيز آل سعود في الخمسين من عمره؛ شاعر الحمراء من المغرب محمد بن إبراهيم[1]:

بدأت طريرا[2] دون عشرين حجة	**وأتممت للخمسين أعمالك الكبرى**
وما زال منك الدين .. يرجو امتداده	**فلا زلت يا عـبد الـعزيـز له ذخرا**
من المغرب الأقـصى أتـتـك تحية	**يبلغها عـن أهله شـاعر الـحـمرا**

في روايتين ذهبت إحداهما في تحقيق الزميل أحمد شوقي بين بين إلى أن الملك أعجب بابن إبراهيم ومنحه منحة سنية، وتذهب الأخرى إلى أن الملك استثقل القصيدة وطلب الاختصار[3]. في رحلة اشتغل فيها الملك بأمور جسام فكان موقفه من شعر المديح هكذا ثم تطور الأمر بعد ذلك وخاصة مع شعراء الوفود الرسمية كأستاذنا محمد المختار السوسي الذي ألقى بين يدي الملك قصيدة من إنشائه.

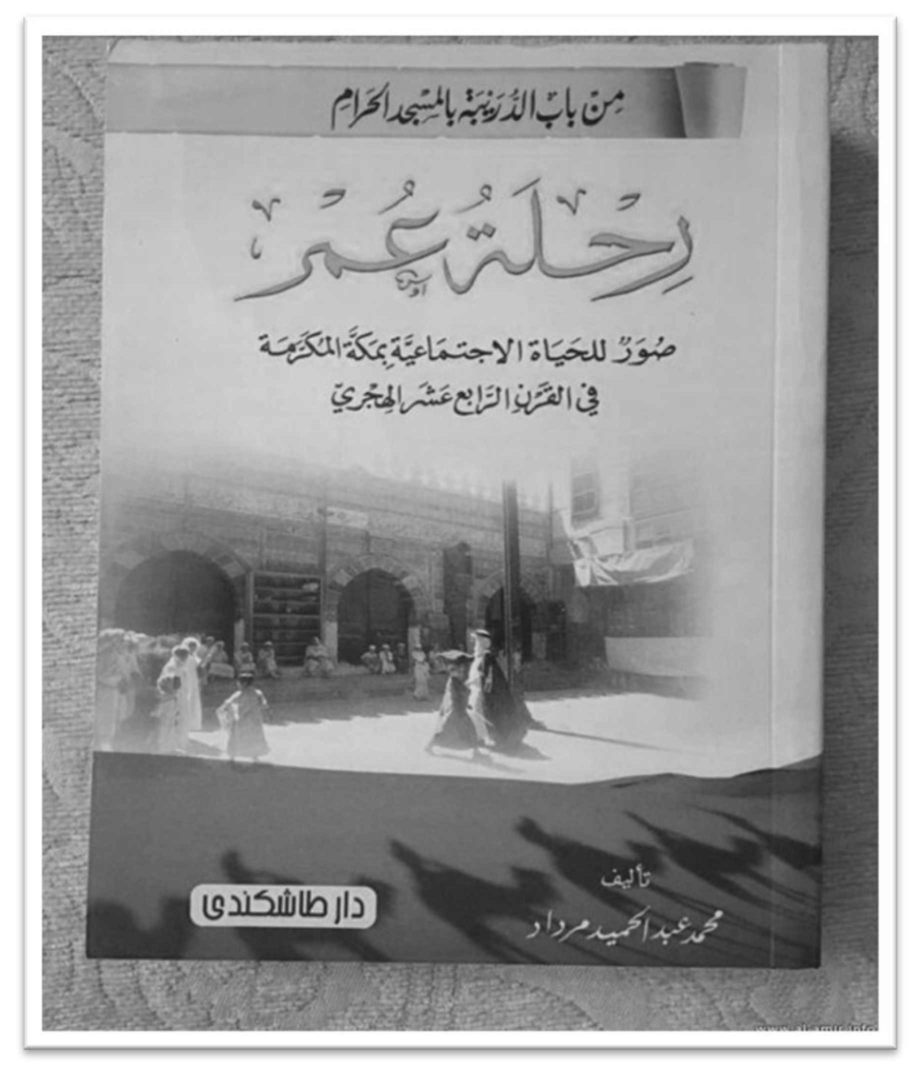
---

[1]. **ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي، ضبط وتنسيق وتعليق أحمد شوقي بين بين مدير الخزانة الملكية (قافية الراء الممدودة).**

[2]. **أي: ضعيف الشارب، صغير السن.**

[3]. **قارن برحلة الرحلات، 4/ 668، 669.**

أحد تلامذة مدرسة الفلاح الحرة بمكة المراكشي يصف يوم دخول السلطان عبد العزيز إلى مكة في موكب شعبي أعد لأجله، وزيارة الملك لمدرستهم وإقامة حفل غداء لهم على شرفه:



يذكر محمد عبد الحميد مرداد في رحلته المسماة (رحلة عمر)[1]، وفيها صور من الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، كيف خرج سنة 1344هـ وهو طالب بالسنة الثالثة الابتدائية، أو على الأصح تلميذ بها، إلى استقبال جلالة الملك المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، وكانوا ينادونه [من قبل] بالسلطان؛ أي: سلطان نجد والحجاز وملحقاتهما، وعندما انضمت إمارة عسير إلى إمارة الحجاز وأصبح في حوزته معظم البلاد السعودية، نودي به ملكا على المملكة العربية السعودية، وأظن ذلك في عام 1351هـ [كذا قارن بين التاريخين].

ومعظم التلاميذ لم يحضروا إلى المدينة في يوم قدومه [؟!] ويرجع السبب في ذلك إلى خوف الآباء على أبنائهم في ذلك من الحجيج والغوغاء وما إلى ذلك..!

وكنا قد اجتمعنا في دهليز المدرسة، ولما لم يحضر بقية الطلبة والأساتذة جمعنا المفتش الحديدي ـ رحمه الله ـ وقال: انصرفوا، هذا يوم فسحة وغدا الدراسة إن شاء الله"[2].

---

[1]. **رحلة عمر، محمد عبد الحميد مرداد، شركة الفرقان الإسلامية ـ جدة، ط2/ 1440هـ ـ 2019م، ص 416 ـ 417.**

[2]. **رحلة عمر، محمد عبد الحميد مرداد، شركة الفرقان للتراث الإسلامي ـ جدة، ط2/ 1440هـ ـ 2019م، ص416 ـ 417.**

الموكب الملكي:

"فذهبنا إلى البيت صباحا، وكانت العمات والعم وبعض ذوي القربى قد عزموا على رؤية الموكب الملكي، وقرروا جميعا أن نذهب إلى بيت الفقيه بالقشّاشيّة[1]؛ حيث تسكن العمة الصغرى حرم المرحوم عمر أحمد فقيه.

وهذا البيت مقابل لبيت (البوّ) الذي صار مقرا لدائرة المواصلات فيما بعد ..

فذهبنا جميعا، وكان البيت مكتظا بالأصدقاء والأرحام، ومعظم بيوت القشاشية في ذلك اليوم كانت مكتظة بالناس للفرجة على الموكب الملكي، وقبيل المغرب بنحو ساعة تقريبا أقبلت العساكر وترامت على الجانبين، ثم أقبلت كوكبة من الفرسان شاهرين السيوف، وأتبعتها كوكبة أخرى، وفيها عظمته وهو محرم يتوسط الموكب الملكي، ومن حوله أنجاله وأشقاؤه وعبيده وكلهم محرمون! وكان منظرا رائعا وجميلا!"[2].

الغداء الملكي بمدرسة الفلاح:

بعد دخول مكة واستتباب الأمن والاستقرار! زارنا بمدرسة الفلاح، وصافح كل طلبة المدرسة قائلا لهم: "بارك الله فيكم!".

ثم تقدم الخطباء؛ فخطبوا، ثم النشيد، ثم اصطففنا وهتفنا قائلين: يعيش السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود!! (ثلاث مرات).

ثم خرج من المدرسة بعدما أمر لها بمكافأة مالية سخية.

---

[1]. في شرقي الحرم وعلى سفح أبي قبيس بمحاذاته، ولعلها منسوبة إلى الشيخ صفي الدين القشاشي، وعاش بين 991هـ . 1071هـ. والقشاش: في الأصل الملتقط للأشياء التافهة ولعلها أصبحت حرفة مدرة للدخل لها أسواق تسمى عندنا ب (الجوطية أو سوق البالي).

[2]. رحلة عمر، مصدر سابق، ص417.

فقام المدير -رحمه الله- وأعلن ذلك على الطلبة؛ وقال: إن السلطان يدعوكم غدا للغداء! ثم انصرفنا إلى بيوتنا.

وفي اليوم التالي حضرنا من الصباح[1] ..

ثم طلعنا إلى الفصول والأساتذة يراقبوننا من غير حمل العصا!

وقد ذبحت الخرفان في ذلك اليوم، ومدت الموائد وطها الطهاة "الأرز البرياني"، وهو أكلة هندية لذيذة، واللفائف المحشوة باللحم المفروم المسماة ب "السمبوكس".

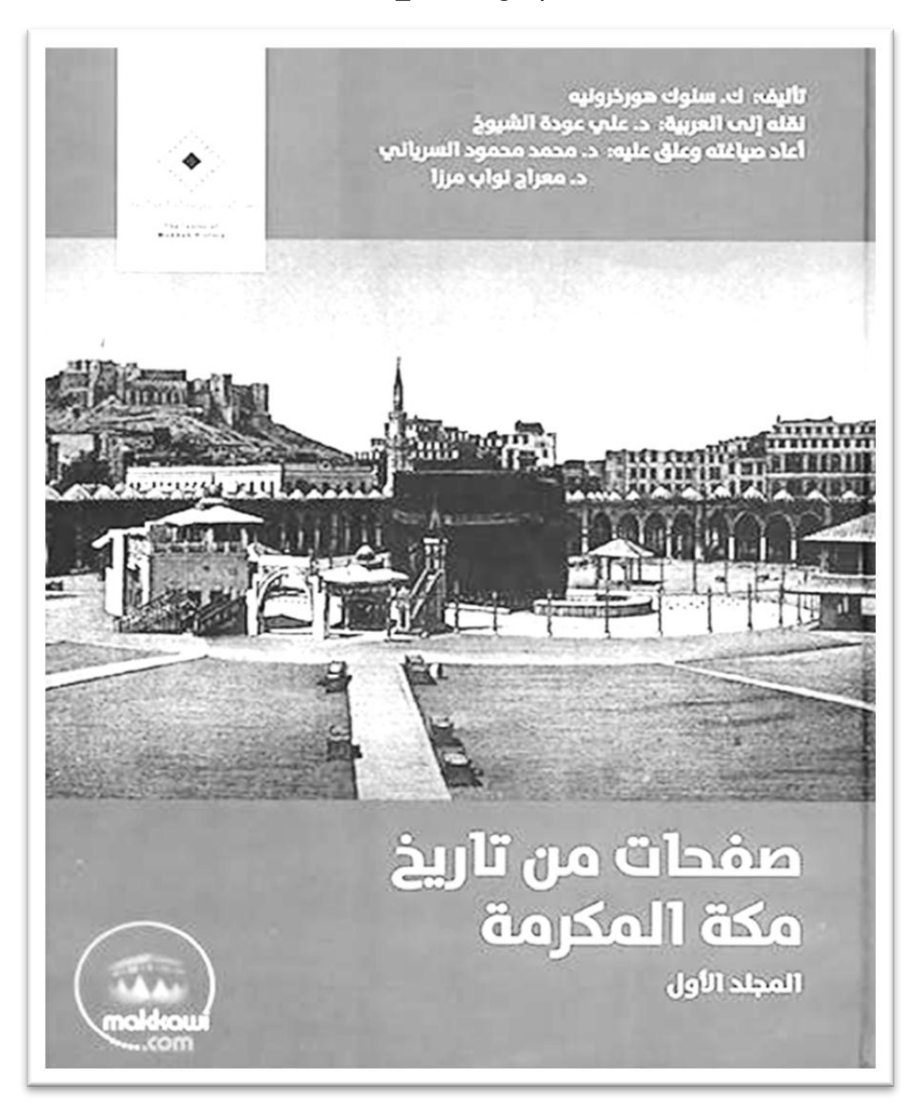
وكان الحلا -مشبّكا- وهو دقيق يخمر ويصب في قوالب ثم يقلى ويوضع عليه العسل أو السكر المطبوخ"[2].

---

[1]. رحلة عمر، مصدر سابق، ص**418**.

[2]. رحلة عمر، مصدر سابق، ص**417 . 418**.

الرحالة الهولندي الرائد يصادف أحداث قيام ابن عبد الوهاب:



من الرواد الغربيين الذين أخذوا صورا عن مكة في عصره أقرب إلى الدقة ورسوما بخط اليد مما ضمه ألبوم المملكة العربية السعودية من إصدار دارة الملك عبد العزيز الضخم

ومعه عسكريا محمد بن سعود بن محمد بن مقرن أمير الدرعية حيث ولي الإمارة بها سنة 1139هـ/ 1727م، بمساعدة أخيه ثنيان، ووفد في حياته إلى الدرعية محمد بن عبد الوهاب صاحب العقيدة الحنبلية المتشددة (الإصلاحية)، فتعاهدا على أن ينضم محمد بن سعود إليه لحراسة الدين ونصرة السنة [كذا].

وصادف الرحالة ك. سنوك هورخرنيه هذه الأحداث شاهد عيان في كتابه الفخم "صفحات من تاريخ مكة المكرمة"[1] آنف الذكر؛ فذكر من ذلك:

أن ابن سعود أرسل إلى مكة أيام الموسم ثلاثين عالما وهابيا للدعوة إلى (التوحيد الخالص) بين أصحاب العلم في مكة، أو طلب الاعتراف بالحق الشرعي لهؤلاء وأتباعهم في أداء فريضة الحج دون إعاقة.

ولقي الوفد معاملة غير لائقة بحسب ما يرويه مؤرخو مكة؛ لأن هؤلاء السلفيين كانوا يعيدون الكرة كلما تسلم حاكم جديد السلطة دونما إحراز نجاح كبير.

واستنادا إلى التقارير الخاصة في هذا الموضوع (ربما يقصد تقارير الأجانب المراقبين لهذه الأحداث!)، لم يعر المكيون هؤلاء اهتماما كبيرا!

وكان من ذلك أن عرض الشريف سُرور كالعادة مقابلا لأداء فريضة الحج فيها مبالغة عن المعتاد، فرفضوا مفاخرين. وكرروا مع ذلك وألحوا في السماح لهم كلما تسلم حاكم جديد الحكم بمكة دونما نجاح!

وفي حكم الشريف غالب جهّز لهم جيشا فحدث الصدام لأول مرة بين الفريقين، ووقفت مكة موقفا سلبيا من هؤلاء بالرغم من وصول كتبهم التي تتحدث عن

---

[1]. **صفحات من تاريخ مكة المكرمة، مصدر سابق، 1/ 274 وما بعدها.**

تفصيلات دعوتهم وسيرة شيخهم ابن عبد الوهاب، وكيف تعلم بالمدينة، وكيف شهد له شيوخه بما جاء به من انتقادات على السلف والخلف. إلا أنه في بداية 1153هـ/ 1740م بدأت الحركة تحرز نجاحا كبيرا في أواسط الجزيرة العربية أولا، ثم في بقية البلدان الإسلامية ثانيا إلا في مكة كما تقدم"[1].

[1]. نفسه، ص**274 . 277**.

ممارسات بعض موظفي شريف مكة مع المغاربة لاعتقادهم بأن الحاج المغاربي يحمل معه الذهب، وذلك عند الامتناع، وركب الحاج المغربي مرافقا بالركب المصري



صورة المحمل التقليدي الذي ينطلق من قلعة صلاح الدين مصحوبا بالوفد الرسمي

وفي الركب حجاج مغاربة نزلوا في طريقهم إلى الحج بالقاهرة وانضموا إلى المحمل

يذكر صاحب أخبار مكة المشرفة[1] **وغيره**[2] **أن من حسنات صلاح الدين الأيوبي أنه أسقط المكس سنة** 572هـ/ 1176م، عن الحجاج إلى مكة من ميناء عيذاب المصري بعد أن كان موظفو شرفاء مكة يفرضون ذلك على حجاج المغرب على الرؤوس.

ومن دخل منهم ولم يفعل حُبس حتى يفوته الوقوف بعرفة عقوبة ولو كان فقيرا لا يملك شيئا حتى عوض صلاح الدين أمير مكة عن ذلك بمبلغ سنوي كاف.

فانبسطت لذلك النفوس وزاد السرور، وزال البؤس، وقد مدحه على ذلك الرحالة ابن جبير فقال:

رفعت مغارِم مكس الحِجا ز بـإنــعامك الـشامل الــغامر

وأضاف ابن جبير بأن كل إنسان يغرم بسبعة دنانير مصرية ونصف، فإن عجز عوقب بأليم العقاب الذي قد يصل أحيانا من قبل بعض الممارسين إلى تعليق الحاج من أنثييه ليقرّ بما عنده والعياذ بالله من الطمع والجشع والتعسف في ممارسة هذا اللون من العقاب الذي حرمه الإسلام وبرئ منه ومن فاعليه!

---

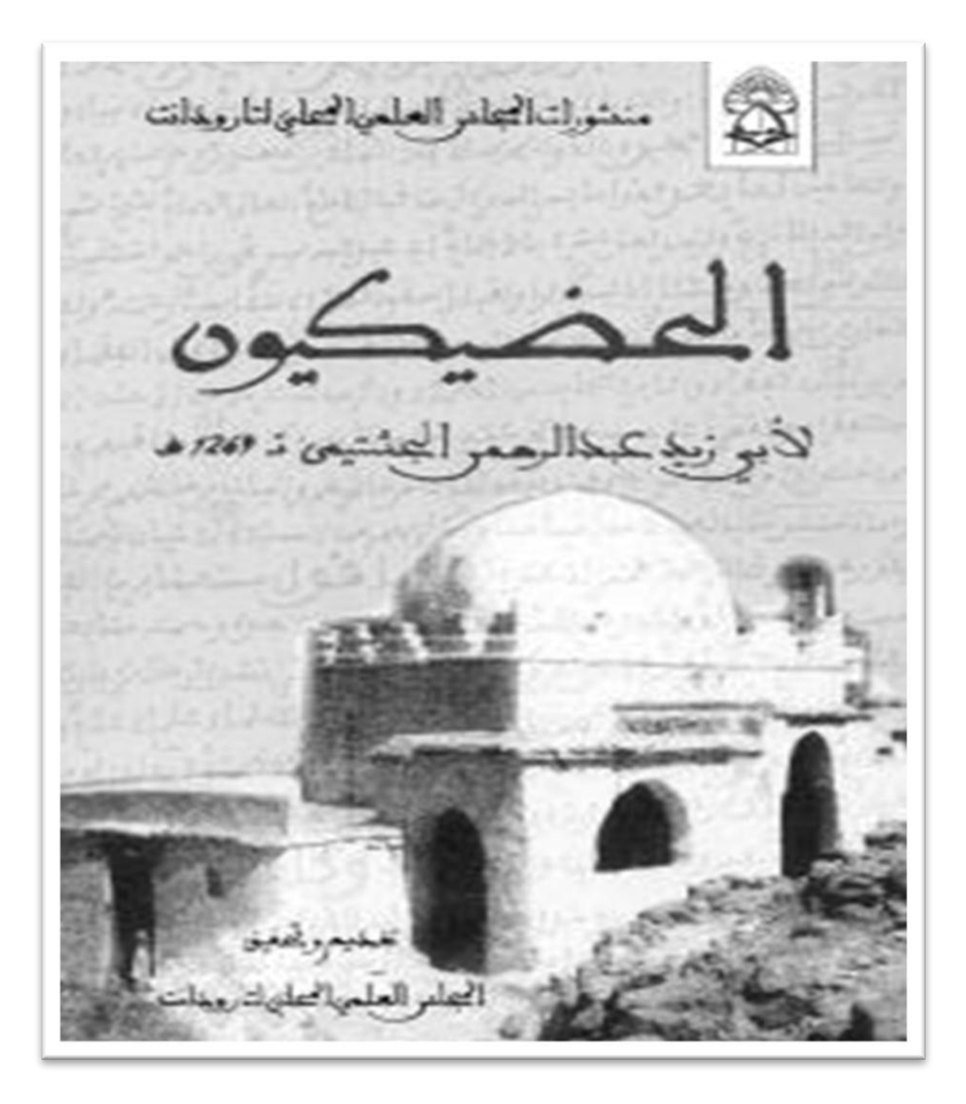
[1]. **أخبار مكة المشرفة، الأزرقي، ج2/ 259.**

[2]. **صفحات من تاريخ مكة المشرفة، مج1/ 184.**

قلت ربما كانت هذه الممارسات قديمة قبل صلاح الدين وسكت عنها، فلما خوطب في ذلك اضطر الى تغييرها فشكره الرحالة المغربي الحاحي العبدري على ذلك بأبيات ذكرها في الرحلة العبدرية[1].

[1] **ينظر كتابنا رحلات إلى القاهرة والإسكندرية بعيون الرحالة المغاربة والأندلسيين للأستاذ محمد البايك والدكتور عبد الكريم تارفي. المطبعة والوراقة الوطنية مراكش 2019م**

لطائف وطرائف عن علماء مغاربة مجاورين وزائرين لمكة ولهم فيها دروس ووظائف وطلبة وتلاميذ



جاور الجشتمي 1269 هـ بمكة سنة وحمل معه أسئلة على العادة إلى علماء الحرمين مالكية وغيرهم فتلقى أجوبتهم وعاد بها إلى سوس

إن عددا لا يحصى من المغاربة ذوي المعارف والحفظ لكتاب الله تعالى قد حجوا واعتمروا مما لا يكاد يحصيه العادّ؛ لأن جل المغاربة لهم إلمام بكتاب الله كليا أو جزئيا بحكم انتشار الكتاتيب والمدارس العتيقة والربط والزوايا عبر السهول والجبال والحواضر والبوادي.

غير أن طائفة بارزين منهم ممن تعرض لهم التاريخ قد استطاعوا أن يتبوأوا الدار والإيمان بمكة مؤقتا أو طويلا، وكان لهم صيت بمكة وكتاتيبها ومدارسها عامة وبالمسجد الحرام خاصة عبر تاريخ إسلامي امتد من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي إلى اليوم؛ ما بين من لقي العلماء بمكة وأخذ عنهم، وبين من جاور بمكة، أو كان إماما ببعض مساجدها، وبين من ولي إمامة المالكية بها، وما بين مصنف للكتب أو ناقل منها أصولا لم تصل إلى المغرب من أمهات الكتب، وبين من رابط زاهدا بأحد رباطاتها، أو قام بأعمال خيرية، أو اشتهر بكثرة طواف أو اعتكاف، أو مارس بها وظائف الخطابة أو التدريس أو تعليم الصبيان مؤدبا لهم، أو تزوج من أسرها الصالحة فولد له بها أو بغيرها، أو ظهرت له كرامات فاشتهر بها بين أهل مكة والحاج، أو سكن ببعض قراها رجاء الإكثار من الحج إليها أو العمرة، أو امتلك بها منزلا أو أرضا، أو حبس بها أوقافا، أو كتب له الوفاة بها ودفن بمقبرتها بالمعلاة مقبرة السيدة خديجة، أو كان شيخا لبعض رباطاتها، أو ناظرا على الحجاز والحرمين متصرفا في ذلك تصرف الناظر الحاذق الحافظ .كما تقدم عند الإشارة إلى الروداني رحمه الله .، أو مارس الرفادة، أو تحمل الفقراء، أو السقاية تطوعا، أو مارس وظيفة الإفتاء أو القضاء بها، أو كان حسن الصوت فصلى بالناس التراويح، أو سرد صحيح البخاري أو غيره على الشيوخ،

أو نال الإجازة من الشيوخ بها، أو رفع أبياتا شعرية إلى علماء الحرمين في نوازل أشكلت بالمغرب عامة، أو ببعض مدنه خاصة[1].

---

[1] . **مجلة الواضحة المغربية، مقال: الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة . مجاور المغرب الأقصى نموذجا، مولاي الحسين الحيان، دار الحديث الحسنية، مطبعة الأمنية . الرباط، ط/ 2021م.**

بعض النماذج اللامعة من العلماء المغاربة المشاهير
وفيهم مجاورون ومدرسون بمكة



أحمد بن عبد الرحمن الجشتمي:

حج عام 1279هـ/ 1863م، وجاور بمكة سنةً، ولقي العلماء بها واستجازهم، ورفع إليهم أبياتا في أمور ونوازل بسوس تتعلق ببيع الثنيا، وأجرة الطلبة المدررين على شروط ومقابل أجر، وكذا أجرة الفقهاء المستفتين في النوازل.

ومن بين من قدم إليهم السؤال مفتي المالكية بمكة الشيخ الحسن بن إبراهيم، وعالم من الأحناف، وآخر من الشوافع على سبيل المقارنة.

وتوفي أحمد الجشتمي السوسي سنة 1327هـ/ 1909م.

أبو شعيب الدكالي الصديقي:

توفي سنة 1356هـ/ 1937م، من بيت علم وفضل وصلاح، أخذ بالمغرب ورحل ومكث بمصر مدة، ثم انتقل إلى مكة بطلب من أميرها الشريف عون الرفيق فأكرمه وقدمه في المجالس لمعرفته بالأدلة والمناظرات في وقت احتاج فيه علماء المذاهب الأربعة إلى مواجهة دعاوى الوهابية ودعاتها.

ثم ولاه وظائف أخرى كالخطابة بالحرم والإفتاء على المذاهب الأربعة، وتزوج بمكة من عائلة شريفة المقام، وهناك ولد له أبناء منهم نجله مفتي القوات المسلحة الملكية ومرشدها فيما بعد الشاعر الخطيب عبد الرحمن الذي لقيته بالرباط العاصمة موضع سكناه، وأخرج له حفيده محمد الصديقي الإدريسي ديوان شعر باذخ أهدى لنا منه نسخا في حفل ببيته بمراكش صحبة بعض المهتمين منهم الزميل المرحوم الدكتور محمد رياض كاتب ترجمة الشيخ أبي شعيب في مجلدين عامرين بتفصيلات مهمة عن الشيخ وأساتذته، ومن اتصل بهم شرقا وغربا، وطلبته والآخذين عنه بالمغرب والمشرق،

ومن تدابج[1] معهم، أو أجازوه أو استجازوه، وعلاقته بأشراف الدولة العلوية وملوكها الذين عاصرهم فأسندت إليه في عهدهم وظائف الفتوى والتدريس والقضاء والإرشاد.

وكان أهداني منه نسخة خاصة هي بمكتبتي العامرة بمراكش، ودرس معي بدار الحديث الحسنية، وكان زميلا لي بالمجلس العلمي الإقليمي بمراكش، وجارا لي وصديقا حميما في السفر والحضر، وكتبت في سيرته قصيدة مطولة ألقيتها في ذكراه الأربعين في قاعة المحاضرات بكلية الحقوق، جامعة القاضي عياض بمراكش، وقصيدة أخرى بجامعة الشيخ شعيب الدكالي بالجديدة حضرها السيد أمين الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى الدكتور العلامة محمد يَسّف وعلماء ومثقفو وطلبة الجامعة آنذاك[2].

ومن طريف ما نقله أستاذي العلامة مؤرخ سوس محمد المختار السوسي عن شيخه بالمغرب لما كان يلقي دروسه بكل من الرباط ومراكش، خاصة أن الشيخ شعيبا كان يلقى . شأنَ من برّز من غير أهل مكة . فيها منافرات كيدية فيقابل ذلك بصدر رحب ويرد بطريقة غير مباشرة عليها، وكان يعرف أن غرض الأمير الشريف عون أن يجعله مِدْرأة له ليردع به بعض الجريئين على مذهبيته الوسط!

وقد دفعه ذلك إلى حسن الإعداد لدروسه، وخاصة في أصول الخلاف بين المذاهب مع بديهة واستحضار عرف بهما منذ صغره عندما تقدم للاختبارات أمام سلطان المغرب آنذاك المولى عبد الحفيظ في الحفظ الكامل للقرآن الكريم ورسمه وقراءاته، فجاء الأول فيما سئل عنه من قبل العلماء ومن قبل السلطان، وكان المولى عبد الحفيظ

---

[1]. **التدابج في المصطلح النقدي الحديثي: أخذ الأقران بعضهم عن بعض إجازة.**

[2]. **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره، محمد رياض، ج1، 174 . 212.**

فقيها حافظا، وكانت ثقافته شمولية وألّف الكتب والشروح ونظم متونا مطولة، كما صنع في مصنفات في النحو والفقه وأصوله! فاكتسب الشيخ لذلك كله خبرة في طول العارضة والجمع بين الأدبيات والنقول الشرعية.

وكان المنافسون يسربون إليه جملة من الأسئلة بواسطة الطلبة في مسائل عويصة؛ ومن أمثلة ذلك:

- أنه سئل عن النبي ﷺ أيعرف الغيب أم لا؟
- فأجاب بأجوبة ذكية بحضور عالِمين هنديين، وأملى ذلك على الطلبة والحضور في نصوص حديثية لها احتمالان؛ أحدهما أنه لا يعرف الغيب، وأخرى تفيد بأنه يعرف الغيب. وخرج منها بموقف وسط بأنه يعلم من الغيب ما أعلمه الله به عن طريق الوحي[1].

ولذلك كله ولكونه خطيبا في الحرم ومفتيا وصاحب كرسي للعلوم، ولعلاقاته بالوافدين من العلماء والطلاب والجماهير من مختلف أنحاء العالم الإسلامي صار له صيت عالمي وطلاب ومحبون في المغرب العربي ومن الكويت ومن شنقيط، وقد اتصل به الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في مكة، وكذلك سافر الشيخ إلى تركيا والأحساء والمدينة فاتصل بالشيخ عمر حمدان المحرسي التونسي الأصل، والشيخ محمد بن خليفة النبهاني المكي المولد، والمالكي المذهب، ووالده الشيخ خليفة، وعالم الطائف عبد الله بن بكر كمال، ومفتي الحنابلة بمكة الشيخ عبد الله بن حْميد من القصيم جد الشيخ المعاصر الذي أخذتُ عنه بمكة عبد الله بن حميد الإمام بالحرم ورئيس مجلس الشورى

[1]. **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي، مصدر سابق، ج1/ 174. 175.**

سابقا، والشيخ حسن بن عبد الله باسْلامة، وأخذ عنه تلامذته من نجد كإبراهيم بن حمد بن جاسر، وسعد بن حمد بن عتيق، وصالح بن عبد الرحمن الرُّوِيش، وصالح بن عثمان آل القاضي، وعبد العزيز المرشدي.

ونقل عنه أحد مترجميه عمر بن عبد الجبار صورةً حية تغني عن كل وصف؛ فقال أنه: كان طويل القامة، طلق اللسان، كث اللحية[1].

ونقل عنه أحد طلبته حسن سعد يماني أنه:

"نقد في دروسه جماعة دون أن يصرح باسمهم، فكتبوا إليه ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيٰكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[2].

. فلما تسلم الرسالة، وهو يلقي درسه في صوت جهوري وحماس بالغ، كتب تحتها: ﴿ اَلذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ اُلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

واستمر في شرح دروسه وإرشاده .."[4].

واتصل بجملة من علماء مصر واليمن، كالشيخ صالح بن أبي بكر شطا من مصر، وعبد القادر بن حسن القلعي اليماني، وعبد الله الحدّاد وغيرهم من أندونيسيا، وله تلاميذ من بلاد القوقاز وما وراء النهر، كوالد مفتي روسيا الشيخ ضياء الدين بابا

---

1. **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي، مصدر سابق، ج1/ 212.**
2. **س هود .** آ: **91.**
3. **س الأعراف .** آ: **91.**
4. **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي، مصدر سابق، ج1/ 212 . 213.**

خانوف، وخليفته العلامة المفتي إسماعيل مخدوم، وله مراسلات عدة معهم ومع آخرين[1].

وقد ختم حياته الباذخة بالرجوع إلى المغرب مسقط رأسه ومهوى فؤاده الأول بعد حجة المولى عبد الحفيظ الذي كان يعرفه وهو فتى لما كان خليفة على مراكش لأخيه المولى عبد العزيز، وكان المولى عبد الحفيظ من أهل العلم والراغبين في الاستزادة فطلب من الشيخ الرجوع إلى المغرب، ولما جلس على عرش المملكة ألحّ عليه فاستجاب عام 1325هـ/ 1909م،

وممن لقيه بالحجاز من علماء مراكش المولى علي بن محمد العدلوني الكتاني، والمولى أحمد الكتاني، ومن فاس الشيخ محمد الكتاني، والوزير المهدي بن العربي المنبهي.

وكان الشيخ كما تقدم صاهر الوزير (محمد بَوْ) من أصل تركي على ابنته السيدة جميلة بنت (محمد بَوْ) والدة الشاعر عبد الرحمن، بعد أن أقرع بين بناته الثلاث بحضور الوزراء! وهكذا ولد له هناك الفقيه موسى وعبد العزيز وخديجة وعبد الرحمن؛ وقد تصدق بالجل من أملاكه إلا هُرْيا بالمدينة لأنه يرى أن أموال الحرمين لا يجب أن تخرج منها إلى غيرها، كما أوصى أن يبقى الهري المذكور إلى اليوم على ملك ورثته[2].

---

[1]. ينظر: شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي، مصدر سابق، ج1/ 221 . 223.

[2]. نفسه، ج1/ 232 . 234.

المجلس العلمي لجهة مراكش تانسيفت الحوز

سلسلة
التوعية الإسلامية
4

شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي
في رحاب
مدينة مراكش الفيحاء

الدكتور محمد رياض

الطبعة الأولى
1424هـ / 2003م

الأرقام القياسية يسجلها المغاربة في التوجه إلى الحجاز والحرمين في نحو مائتي رحلة بعضها لم تصل إلينا تفصيلاتها، وتقرب من المئة ترجمة تبدأ من أواسط القرن 3هـ/ 9م،

وتمتد إلى القرن 7هـ/ 12م:



رحلة الرحلات للدكتور الرحالة صاحب حزب الجو عبد لهادي التازي محقق رحلة ابن بطوطة في عين المكان الذي رحل إليه ابن بطوطة بتمويل من المرحوم الحسن الثاني

وإن بعضها من حسن حظ التاريخ وصل إلينا مخطوطا ومطبوعا تاما أو مبتورا موزعا على مكتبات العالم، ومما عرف من ذلك رحلة أبي بكر بن العربي فيما عثر منه عليها، وكانت سنة 489هـ/ 1096م، في نحو المئة رحلة أيضا[1].



الرحالة جواب الآفاق الدكتور عبد الهادي التازي الطلعة الجماعة للكتب والمخطوطات والآثار ومدير المعهد العلمي بالرباط يتناول كتابا جديدا مستغلا فرصة انتظار إلقاء درس حسني

[1]. رحلة الرحلات، مصدر سابق، ج1/ 25 . 59.



مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية
سلسلة «التراث»

رحلة ابن بطوطة

المسمّاة

تحفة النظار
في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار

تأليف
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي

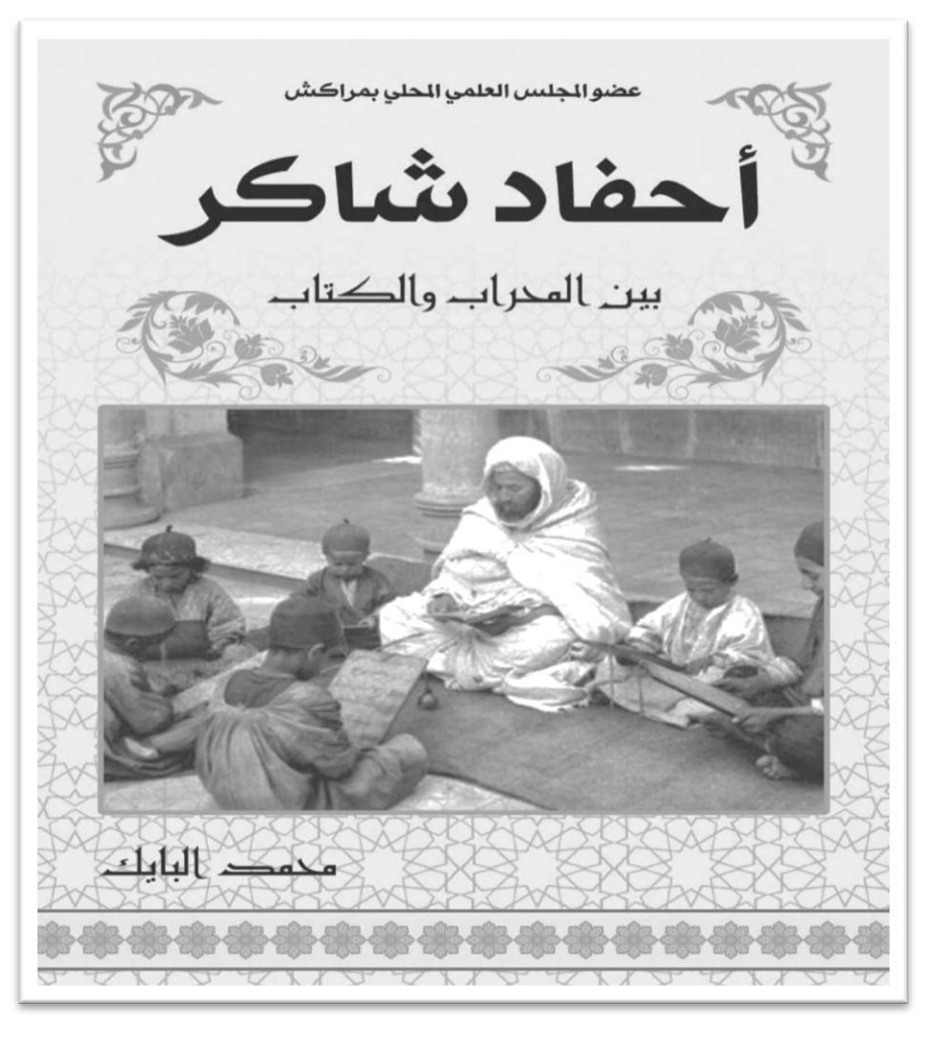
قدّم له وحقّقه ووضع خرائطه وفهارسه
عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

المجلّد الأول

1417 هـ /1997 م

أول تحقيق علمي بتمويل من الملك الحسن الثاني لرحلة ابن بطوطة في مواقعها التي زارها المؤلف طبعته في مجلدات أكاديمية المملكة المغربية مثبتا صحة ما حكاه صاحب الرحلة من مشاهدات في عين المكان

مختارات طريفة من أخبار بعض أعلام المغاربة من مراكش خلال القرن الماضي، ونموذج الشيخ الطيب المراكشي المقيم بمكة ممارسا لعدة وظائف تعليمية وإدارية وتواصلية بقلم تلميذه البار محمد عبد الحميد مرداد في (رحلة عمر)



ديوان للمؤلف فيه تفصيلات عن طريقة تلقين الصبيان للقرآن بالمغرب في عصور مختلفة إلى اليوم وتشبه سائر الطرق في البلاد الاسلامية

يذكر الطالب محمد عبد الحميد مرداد بمدرسة الفلاح بمكة أنه خلال العام 1348هـ/ 1929 . 1930م، وكان في القسم الثامن في المدرسة أن والده فتح له مكتبته برباط خاص له قرب الحرم؛ وكانت به مراجع ومصادر، خاصة ما كان يهيئ منها لدروس الأساتذة، وفيها أسئلة واستشكالات تفوت بقية الطلبة، فكان يلقى تشجيعا عظيما من أمثال الأساتذة يحي أمان، وأحمد ناضرين، وعمر حمدان، والطيب المراكشي.

وحتى إنهم أسندوا إليه عمل شاي الفسحة وتوزيعه عليهم مع السماح له بالجلوس لشرب الشاي! حتى حسده بعض زملائه الذين كانوا يقومون بهذه المهمة؛ وكان يستغل حديث الأساتذة عن أسعار الخضروات واللحوم فيعرض عليهم، لخبرته في ذلك، أسعارا رخيصة حتى وكلوا إليه مقاضيهم يوميا دون أن يعترض عليه مراقبو المدرسة.

الأستاذ الطيب المراكشي يدعوه الطالب محمد عبد الحميد مرداد لدار عمته، وقد هَيّأَتْ مائدة للأساتذة من السوق كعادة جلب الطعام للضيوف بواسطة الطهاة الممتازين؛ فيحضر من الأساتذة السيد عباس مالكي صهر عمه، والشيخ علي مالكي، والأستاذ باسلال، والأستاذ الدحلان، وبعض أساتذة مدرسة الفلاح، ومديرها (حمدوه)، ووكيل المدرسة الأستاذ الطيب المراكشي وغيرهم.

ثم دق الطاهر الباب حاملا في صحاف أطباقا للمناسبة، وكذلك (حللا) في وسطها حلوى السنبوسك التي تتكون من لفائف عجين محشوة باللحم المفروم والأبازير والبصل، وكان شيخي سيدي محمد بن علوي المالكي المكي يقدمها لنا وللمدعوين

ليالي الأخمسة في الموسم ويحثنا على الأكل منها، وأتبع الطباخ ذلك بحلة مملوءة (بالطرمية)؛ وهي حلوى شامية تصنع من الدقيق المبسوس بالسمن والبيض في قوالب مستطيلة على شكل الإصبع تغلى بالزيت ثم تسكر أو تحلى بالعسل[1].

كان والد شيخي المرحوم العلامة السيد علوي مالكي زعيم الأدب في تمشية الخميس، أو نزهة الخروج يوم الخميس على عادة المكيين والمغاربة كذلك في الربيع خاصة، وتسمى عندهم (بالنّْزَاهة) وهي مشتقة من النزهة، ثم أضاف اللسان المغربي العامي إليها الألف الممدودة للمبالغة.

ويذكر الطالب محمد عبد الحميد مرداد في (رحلة عمر) أن العلامة السيد علوي مالكي كان زعيم الأدب في (تمشية الخميس)؛ حيث يلتقون في ركيب من ركبان الزروع بالمسفلة آنذاك، وذلك (ببِرْكة ماجل)، أو بأحد مقاهيها (وقد أدركت منها واحدة قديمة العهد على يسار النازل إلى المسفلة ذات شجرة ضخمة ظليلة كنا في الرمضانات نخرج إليها بعد التراويح لشرب الشاي في أباريق من الفيروز، ونحن نرى القِدر المغلية بالمياه التي يعب منها النادل ليقدم لنا صينية بكؤوس ذات عروات؛ والشاي حام يكاد يحرق الشفاه، وقد يُتبع ذلك بوجبة كباب يقدمها لنا أحد الزملاء بهذا المقهى الذي لم يعد له وجود).

وكان الشيخ الأديب السيد علوي المالكي يتحفهم بقصائد من شعره الجميل المرح مع أنه كان حديث التخرج والتدريس آنذاك حيث تخرج قبل مرداد بعامين، وكان

[1]. **رحلة عمر، مصدر نفسه، ص 502 . 503.**

معهم الأستاذ الكردي، وكان يتحفهم بقصائده الشهيرة في مديح الرسول ﷺ وفي وصف بعض المناظر.

كما كان الأديب محمد أمين الكتبي يتحفهم بمثلها في وصف الأزهار ومدح الرسول عليه السلام.

وقد نظم السيد علوي بالمناسبة قصيدة مطلعها[1]:

قد صفا الأنس عصر يوم الخميس فخرجنا والشمس حول الـغطيس[2]

وكثيرا ما أنشد التلاميذ والطلبة عندنا بالمغرب أبياتا وأرجازا في الأخمسة متفائلين أو مبالغين؛ ومن ذلك:

اليـــوم يـــوم الأربـعـــاء هيئ له ما تشتـــهـــي
وبعـــده يـــوم الخميـــس فإنــــه نعــم الأنيـــس

أو يبالغون ممازحين فيقولون مجدفين:

وتكره الصلاة فـي يوم الخميس عند (المسافرين) قاله إبليس

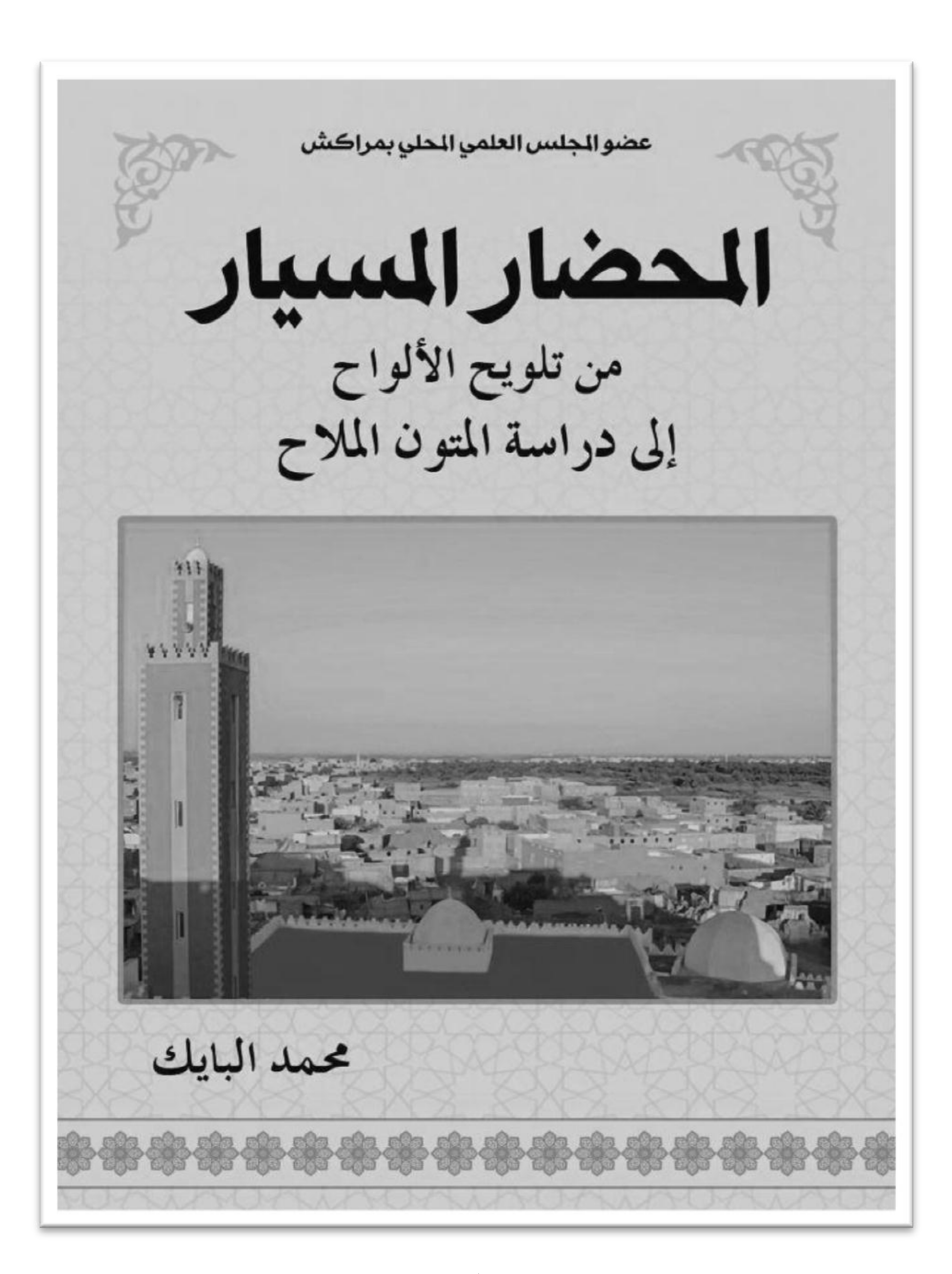
ومصطلح (المسافرين) يقصد به طلبة العلم الذين يقطعون المسافات في رحلتهم نحو المدارس العلمية في الجبال والسهول والبراري. وصدق الناظم عندما نسب ذلك لإبليس أخزاه الله.

قلت: في ديواني المحضار المسيار وصف لطالب علم خرج من قريته مشيعا من الجميع وقطع مسافة بحثا عن مدرسة علمية عتيقة، ولذلك سموه في الأدب الطلابي بالمسافري.

---

[1]. رحلة عمر، مصدر سابق، ص509.

[2]. الغطيس: الأسود، بالغ السواد. أي الليل شديد السواد.



صورة لديواني المحضار المسيار

الأستاذ الطيب المراكشي يشفع لطالبه الملازم مرداد في تخفيف عقوبة استحقها بمخالفة منه لأستاذه وقريبه السيد المالكي المذكور:



صورة لبعض خريجي وزوار وأساتذة مدرسة الفلاح ومن حسن الصدف أني درست بمدرسة في الدار البيضاء باسم مدرسة الفلاح بدرب مارتان سنوات 1950-1951 قبيل الاستقلال

كان محمد مرداد قد كلفه والده بإغلاق الرباط محل لقاء الأساتذة في ميعاد مع البواب، ولكن السيد علوي المالكي أبى إلا أن يقصد الرباط عشية، فإذا به مغلق بعد العاشرة مساء، ولا ينام فيه أحد غير البواب، ولكن السيد المالكي يخبر صاحب مكتبة قرب الرباط بأن لهم ولدا نام هنا بخلوة والده، فأجابه بأنه لو كان الولد يقصد مردادا به لكانت النوافذ مفتوحة، وكان الولد مرداد يسمع الحوار ويتجاهل الرد؛ فعلم السيد علوي أنه سيشكوه قطعا إلى الإدارة التي لا يدخل إليها أحد من الطلبة إلا لأمر هام برخصة من الحارس! ولكن الولد مردادا غافله ودخل فوجد الأستاذ الطيب المراكشي نائب المدير، فأخبره بفعلته وطلب منه المساعدة بالكلام مع المدير.

فقال له الطيب المراكشي: لا يهمك شيء![1] فكن جلدا صبورا! وقد مر عليك من الشدائد الكثير، وسأخبر المدير مقدما، قبل وصول الشكوى، ولكن الطالب مردادا لم يطمئن فترصّد الأساتذة واحدا واحدا وكانوا على انفراد لم يتخابروا بعد، فقرر كل واحد منهم مساعدته، وزاد في إيناسهم بإعداد الشاي، وعرض نفسه عليهم لقضاء حاجاتهم من السوق فأوصوه بالبقاء بالمدرسة وعدم الخوف. وكانت حصة الدرس في شرح (كتاب اللمع) للشيرازي من قبل الأستاذ أمان الله، وإذا بالمراقب المغربي كما يظهر من اسمه (بنّونة)[2]، وهو منفذ العقوبات والجلاد الأعظم كما قال؛ وكان مهيبا، وكان مؤلما يصل الجلد أحيانا إلى الستين والعياذ بالله.

---

[1]. عبارة عامّيّة من أصل عربي أي لا تهتم وانس هذه المسألة.

[2]. لقب لآل بنونة الفاسيين، أصولهم هلالية وهم يدعون الشرف، ويدلون بشجرة قديمة على رق الغزال. راجع: موقع الشريف إيهاب التركي الشاذلي الإدريسي على النت.

وبعد أن أدخله السيد المراقب بنونة إلى مكتب المدير وجد المشتكي السيد علوي ومعه ثلة من الأساتذة (ناضرين) و(الأمان) و(حمدوه السناري) وصاحبه الطيب المراكشي الشفيع، وقد طلب السيد المالكي وكذلك عمه اللذان طلبا توقيع الجزاء عليه (بالفلكة) هذه المرة!

وقف الأستاذ الطيب المراكشي وطلب من مرداد أن يتكلم بعد أن وصفه بالعقل والأدب والأول في الفصل، والحافظ لكتاب الله، وقام بعض الأساتذة فطالب بالاستماع حتى سكت المدير وبهت الباقي.

فدافع مرداد عن نفسه وأظهر أنه إن عوقب لا يرجع إلى ما كان عليه، وإن أصروا ذهب إلى بقية إخوته ووالدته وهم أحق به، ثم خرج منفعلا وصعد إلى الفصل غضبان! فكان أن سلم إليه بسكوت الجميع، واقتُرح عليه إما أن ينتقل نهائيا ويسالم الجميع، وإما أن يذهب إلى والدته ويسكن مع إخوته بشرط مصالحة عمه، فسكن روعه وهدأ قلبه[1].

وحينئذ رجع إلى الخلوة المذكورة بالرباط، وإذا بالسيد المالكي يدخل إليه فيستقبله أحسن استقبال ويقدم له الحلوى، فأخبره المالكي بأن الصلح خير وأنه جاء إليه ليرجع إلى بيت عمه ويصطلح معهم، فأجابه مرداد بأنه سيختار ما في مصلحته مع بقائه في الخلوة في الرباط؛ لأنه جنة بالنهار وإن كان سجنا بالليل عندما يغيب القمر ويحل الظلام، وإن كانت أنيسَه في النهار الزهور والرياحين وشجر الخِرْوع وساقي الأشجار السيد الإدريسي، الذي كان ذرِب اللسان لا يستطيع أحد أن يقطف وردة

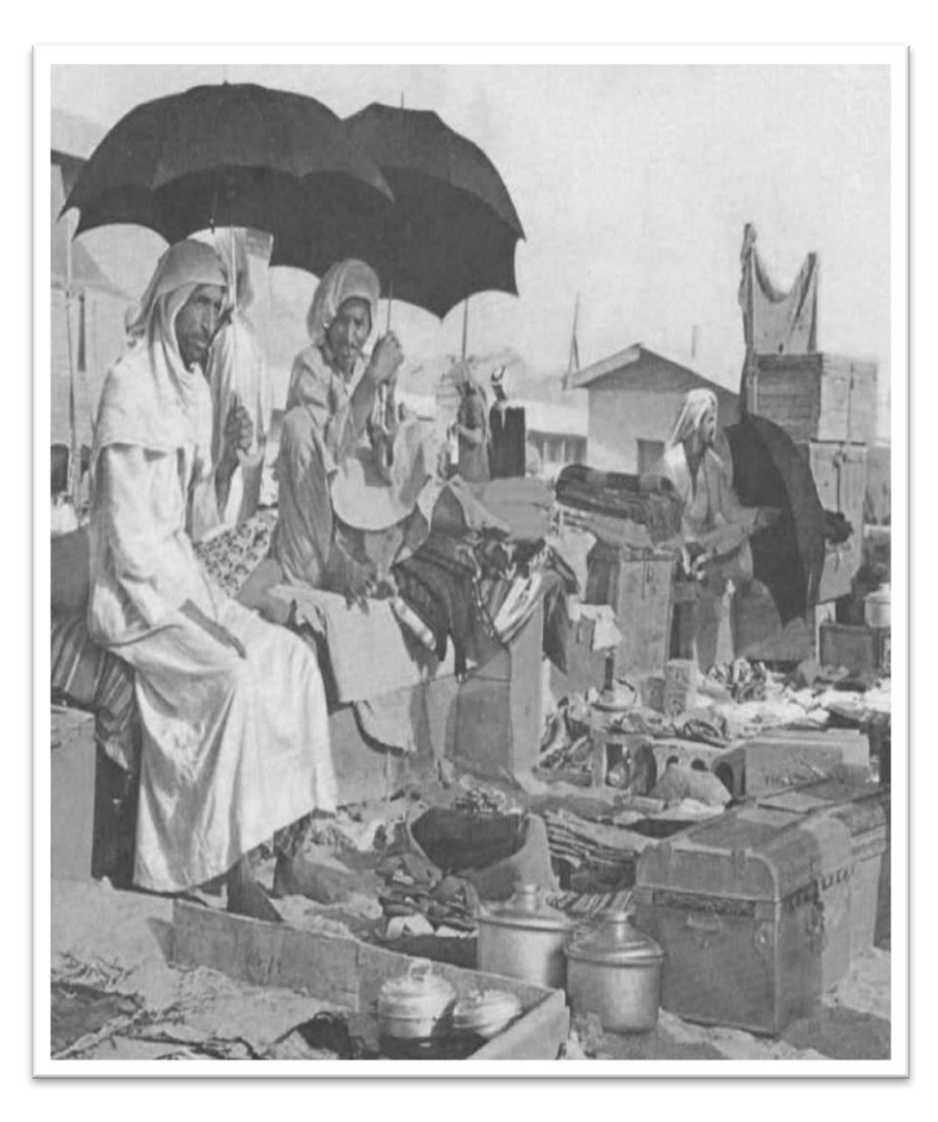
---

[1]. **رحلة عمر، مصدر سابق، ص518. 519.**

إلا بإذنه، ويمنع الأطفال. فكان مرداد يتمتع بهذا كله من الصباح إلى الضحى وفي ليالي القمر، ثم يعود حالكا معتما مرعبا موحشا، وإن كان به البواب والبستاني اللذان كانا ينامان ليلا لقوامتهما في الفجر بالمسجد الحرام، وكان في أيام الغيم والمطر ممتعا، يجلب الجيران إليه لاحتساء الشاي واستنشاق الهواء؛ فتسمع صلصلة الهاوون ورائحة البن والهيل وتصفيق الفناجين، ويقوم أحد تلامذة مرداد على الأصدقاء من السكان قائلا: "القهوة أطال الله عمرك بالبزرة"، ويقصد الحديقة الأمامية بهذه الخلوة الكبيرة، وكانت فيما مضى لشيخ الرباط الذي فُقد في عرفات المرحوم إبراهيم مؤذن[1].

---

[1]. نفسه، ص **221 . 223**.



في رحاب الأسواق الشعبية في شوارع مكة حيث كان مرداد يغشاها مستطلعا ومستبضعا للأساتذة والمعلمين بمدرسة الفلاح

محمد عبد الحميد مرداد وحمير مكة وطريق الحاج، وإعجاب الحاج المغربي بسرعة وشدة ومتانة هذه الحمير المدربة على الجري لئلا تدرك من قبل اللصوص وقطاع الطرق وهب الريح:



صورة لبعض حمر مكة في أجمل صورة وأسرع خطوة وكان مرداد يحب ركوبها ليصل إلى أبعد مكان عند أقربائه خارج مكة في أسرع وقت

يذكر الشاب الطالب محمد عبد الحميد مرداد أن أكثر ما يستهويه ركوب الحمير بالذهاب إلى العمرة مع الزملاء، فكان يستعملها في التنقل بين طرق وأحياء المدينة وفي تمشية الخميس لقلة العربات النفطية ووعورة الطريق.

وكثيرا ما كانت تلقي به في الطريق لجموحها فتتأثر أضلاعه، حتى اكتوى أحيانا بالنار على يد طبيب بدوي معروف اسمه (كافي) رحمه الله، وكان صديقا لعمه، وكان يكويه بالمسامير مرات.

وكان الحج على الشقادف[1] للجميع نساء ورجالا وأطفالا؛ وكان مرداد اشترى حمارا ليبلغه إلى منى يوم التروية، فلما امتطاه ووصل إلى أخشبي مكة وقف ولم يرم مكانه مدة حتى مضى أكثر من ساعة، ومضى الركب فتركه خوفا من عتاب الأهل وسار بسبب ذلك ماشيا إلى عرفة آخر الليل، وبحث عن الأهل فلم يعثر عليهم، واستحق اللوم[2].

---

[1]. **الشُّقْدُف، كقُنْفُذ: أهمله الجماعة، وهو مركب معروف بالحجاز، يركبه الحجاج إلى بيت الله الحرام، وهو أوسع من العماري، وأعظم جِرما من الهودج، والجمع: شَقَادِف. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى، الزَّبيدي، تح مصطفى حجازي وآخرون، دار الهداية، ط1/ 1965 . 1984م، 23/ 525، [ش ق د ف].**

[2]. **نفسه، ص 524 . 525.**



صورة لشقادف التنقل بالحجاج والحواج في طريق المناسك مع رسوم يؤديها الحاج وبكل شقدف مكان يسع شخصين وتظهر أقدام الابل الحوامل لها من أسفل وفوق كل شقدف نفران وكان مرداد يصطدم بحماره السريع مع ازدحام الطريق

وأستاذه الطيب المراكشي ينال حظوة عند حكام مكة لخدماته هو والسيد مدير مدرسة الفلاح، ولأن معظم خريجي المدرسة كانوا في هذه الأسلاك حتى القضاة، وذلك عام 1349هـ وما بعدها:

وكان المرحوم حامد رُويحي الموظف الأول في عهد نائب الملك على مكة فيصل بن عبد العزيز قبل تسمية الحجاز بالمملكة العربية السعودية، وكان من أصدقاء مدرسة الفلاح، وقد اقترح أن تنشأ مدرسة أخرى على نمطها في الطائف، وكان أستاذه الشيخ الطيب المراكشي قد اقترحه لإدارة فرع مدرسة الفلاح بالطائف، فقام المسؤول الأول هذا بإرسال مرداد معه في (بوكس)[1] خاص قليل المقاعد يركبه لأول مرة في أول يوم من العطلة الصيفية، وكانت الطائف مصطافا لنخبة من أهل مكة، بعد أن زوده أستاذه الطيب المراكشي بنصائحه، وبدأ المرشحون له ينادونه بالأستاذ ويوصونه بمراعاة زوار دار الرويحي المحسن وهم كثر في الصيف، وقد زودته المدرسة بمكافأة خمس جنيهات مقدمة على أن يسافر الرويحي في سيارات أخرى، وأن يقدم له لوريا[2] لحمل العفش والفراش والأثاث مع تسفير الخادمات و(الجلايل) الصغار بسبب وعورة الطريق آنذاك، وكان مرداد يعرف منازل الطريق التي كانت والدته من الرضاع تغشاها معه فقرر أن يجمع بين الطائف وزيارة هذه المنازل ويستريح في "الشرائع"، ثم في "الزيماء"، ثم في "السيل الكبير" لتناول الغداء والشاي والشيشة الخاصة بمن معه، ثم يختمون بالطائف يصلون بها المغرب.

صحبة العمر مع الشيخ الطيب المراكشي:

ومع انتقال الأستاذ مرداد إلى المدرسة الفخرية العثمانية بباب إبراهيم مدرسا براتب أربعين روبية هندية أي ثلاثة أضعاف راتب مدرسة الفلاح، فقد كانت علاقته

---

[1]. **سيارة صغيرة الحجم محدودة المقاعد.**

[2]. **سيارة لحمل الأمتعة.**

المتينة بأستاذه المراكشي متصلة بتبادل الزيارات في خلوة مرداد برباط الباشا المذكور مع الأستاذين (الأمان والعربي)، والناظرين، والسيد علوي المالكي رحمهم الله، وحتى لما قرر مرداد الالتحاق بوالده بسنغفورة لم يتيسر له تدبير نفقات السفر الطويل بالباخرة، فالتجأ مرة أخرى إلى أستاذه الطيب المراكشي رجاء أن يبحث له عن مخرج ولو بواسطة سلفات يتعهد مرداد بردها إليهم مقابل التوقيع على صكوك بها؛ فكان أن جمع له الأستاذ ثلة من معارفه ليعرض عليهم حاجته في عشاء أعده لهم بالبهارات الحارة، وبعد شرب الشاي عرض عليهم حاجته الملحة فوعده الشيخ الطيب غدا شريطة أن يشرفهم على الفسحة لشرب الشاي والتفاهم معهم.

ولما قدم إليهم وجد أمامه إبريق الشاي ذا الاثني عشر كأسا، وبعد الانتهاء أمره الشيخ ناضرين بكتابة سند بخمس جنيهات وأشهد عليه أساتذته وأحاله على خال له بالسوق ليصرف له السند، ثم حذا حذوه السيد إبراهيم النوري فسجل له سندا بست جنيهات وأحاله على أخيه عمر بدكانه، ودفع إليه الشيخ العربي كتاب الطبري الفخم (تاريخ الأمم والملوك) طبعة أميرية؛ وأمره أن يبيعه وأن لا يكتب له سندا بها لأنها نسخة زائدة عنده، فدفع له الشيخ عبد الفتاح قدر أربع جنيهات ذهبا، ودفع له السيد بكر حبشي خمسة آلاف نسخة من كتاب (مفتاح الصلاة) على مذهب الشافعي وطلب منه حملها وبيعها في الطريق، وقيد له خمسة آلاف قرش وسعر النسخة بقرش سعودي واحد، وإذا كسد السوق فليوزعها لوجه الله، وكان أن باعها مرداد بمدينة (سورا بايا) بأندونيسيا مع ترجمتها إلى اللغة الجاوية بثمن مغر.

والتفت إليه أستاذه الطيب المراكشي وقال: "الآن ضمنت نصف المبلغ، وبقي عليك ثلاثون جنيها، أنا مستعد لأن أدفعها لك، ولكن اذهب قبل ذلك إلى الشيخ الرويحي وأخبره لعله يقرضك أيضا، ثم أعطيك الباقي، وستجدنا عنده نشرح له الموضوع".

وبعد العشاء ذهب إليه مرداد بزقاق الجنائز بمحلة الشبيكة قرب (المجلة) فرحب به ثم طلب منه أن يكتب سندا بعشر جنيهات فكتب ودفعها له في الحال، فسأل الشيخ الضيف من جدة عن ذلك فأخبره الرويحي، فقال: "إني أساهم بعشرة أيضا فادفعها له يا حامد وخذ سندا وقيده في الحساب الجاري بيننا".

وفي اليوم التالي ذهب إلى السيد مدير مدرسة الفلاح الشيخ الطيب فسأله: "كم الباقي؟". فقال مرداد: "ما حصلت عليه كفاية".

قال الشيخ الطيب: "لا"، ثم أخذ ورقة وقال: "اذهب إلى الشيخ محمد سعيد بالمسعى"، وكان صاحب بقالة، فسلمه المكتوب فأمره بالإمضاء على ظهرها (التسلم)، ثم دفع له خمسة عشر جنيها ذهبا رجع بها إلى الشيخ المراكشي فرحا، فكتب له سندا بذلك وكان الشيخ الطيب يودع عند المذكور نقوده، وكان الأساتذة قبل الإفلاس يتقاضون شهريا نحو 30 جنيها، تضاءلت إلى خمس جنيهات فاضطر أكثرهم إلى الالتحاق بالمدارس الحكومية.

ومن ذكريات القرن الماضي بسوس المغربية معاناة الحاج السوسي مع أخطار الطريق تارة ونقط التفتيش تارة وأمواج البحر أخرى.

يحكي الفقيه الحاج عمر اليوسفي عن جده الحاج محمد الزهراوي ونجله الذين ذهبا إلى الحجاز على الأقدام وكتب للابن الوفاة هناك.

وحكى له أيضا أن الوفد السوسي يجتمع في فج يسمى (تيزي الحجاج) في بلاد قبيلة مزوضة ابتداء من شهر ربيع النبوي وأن بعض أعمامه كان أيضا ممن حج على قدميه وصحب أحد المكفوفين ملتزما برفقته حتى كتب الله لهما الحج معا ولما وصلوا إلى ليبيا خافوا من بعض نقط التفتيش لئلا يرجعوا على أعقابهم فاحتالوا عليها واكتروا فرسا مسرعا قطعوا به بعض الغابات لتجاوز نقط التفتيش ثم ساروا إلى مصر والأردن وتبوك وقد توفي أحدها بعد الرجوع وبقي الآخر إلى اليوم في سنين متقدمة.

وقد أدرك الفقيه الحاج عمر حجاج البر بالسيارات سنة 1954 كما أدرك في بلدتهم الحاج حسن الذي حج على باخرة اسمها (أطوس) تستغرق شهرا في الطريق.

خاتمة:

تلكم كانت أهم المراحل التاريخية لتعلق المغاربة بمكة المكرمة قبلة المسلمين، عشنا معهم ومع القارئ في مشاهد وصور تاريخية لا تنسى.

إنطبعت في ذاكرة ومشاعر الأجيال التي كانت تشيع الحجاج في الحواضر والبوادي، بحفلات من الطعام يقيمها الحاج في طقوس، يشترك فيها النساء لاستسماح الساكنة قبل الذهاب إلى سفر طويل، قد يعود منه الحاج وقد لا يعود، موصيا أهله وأقاربه وغيرهم بالعناية بأبنائه الصغار إذا لم تسعفه ظروف العودة، قاطعا البراري تارة والبحار أخرى، في مغامرات ومنزلات كان الفضل لأبي محمد صالح الماجري الآسفي في اختراعها، عبر المغرب الكبير وليبيا ومصر وصولا إلى الحرمين، في أزمنة متفاوتة في خصبها وجفافها وحرها وقرها ومخاطرها، متحملين وعثاء السفر، وعطش البراري، وقطاع الطرق، وتفتيش بعضهم تفتيشا مهينا في بعض الأحيان، وأداء أنواع المكوس، مع التهديد بالعقاب الشديد عند الامتناع عن ذلك، وإذا وصلوا أو وصل معظمهم إلى مكة والمدينة، نسوا ما تعرضوا له من ذلك، وفضل بعضهم المجاورة عوضا عن مخاطر الرجوع، أو البقاء بمصر أو غيرها لممارسة عمل مذر للدخل، أو لبناء زيجة ينسى بها ألم الغربة، أو الدخول في حلقة من حلقات العلم، لتلقي الأسانيد في كل من القيروان والإسكندرية والقاهرة والمدينة ومكة، مما تجدون تفصيلات عنه في أثناء الكتاب.

الملحق الأول:

صور متنوعة للوفد الرسمي المغربي المشيع بتعليمات من ملوك المغرب



أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس يستقبل أعضاء الوفد الرسمي

المتوجه للديار المقدسة لأداء مناسك الحج



وزير الحج الدكتور فؤاد بن عبدالسلام الفارسي يستقبل بمكتبه في جدة وفد بعثة حج المملكة المغربية برئاسة وزير الأوقاف والشئون الإسلامية أحمد التوفيق.



الفوج الأول من الحجاج المغاربة يتوجه إلى الديار المقدسة برسم موسم الحج لسنة 1436 ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يزودهم بوصايا أمير المؤمنين محمد السادس في رسائل تاريخية لأمراء المؤمنين بالمغرب



الوفد الرسمي للحج يودع بوصايا أمير أمير المؤمنين في شخص وزيره في الأوقاف أحمد التوفيق وإلى جانبه الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى محمد يسف



فوج من الحجاج بمطار محمد الخامس الدولي للدار البيضاء



حجاج مغاربة في مطار جدة

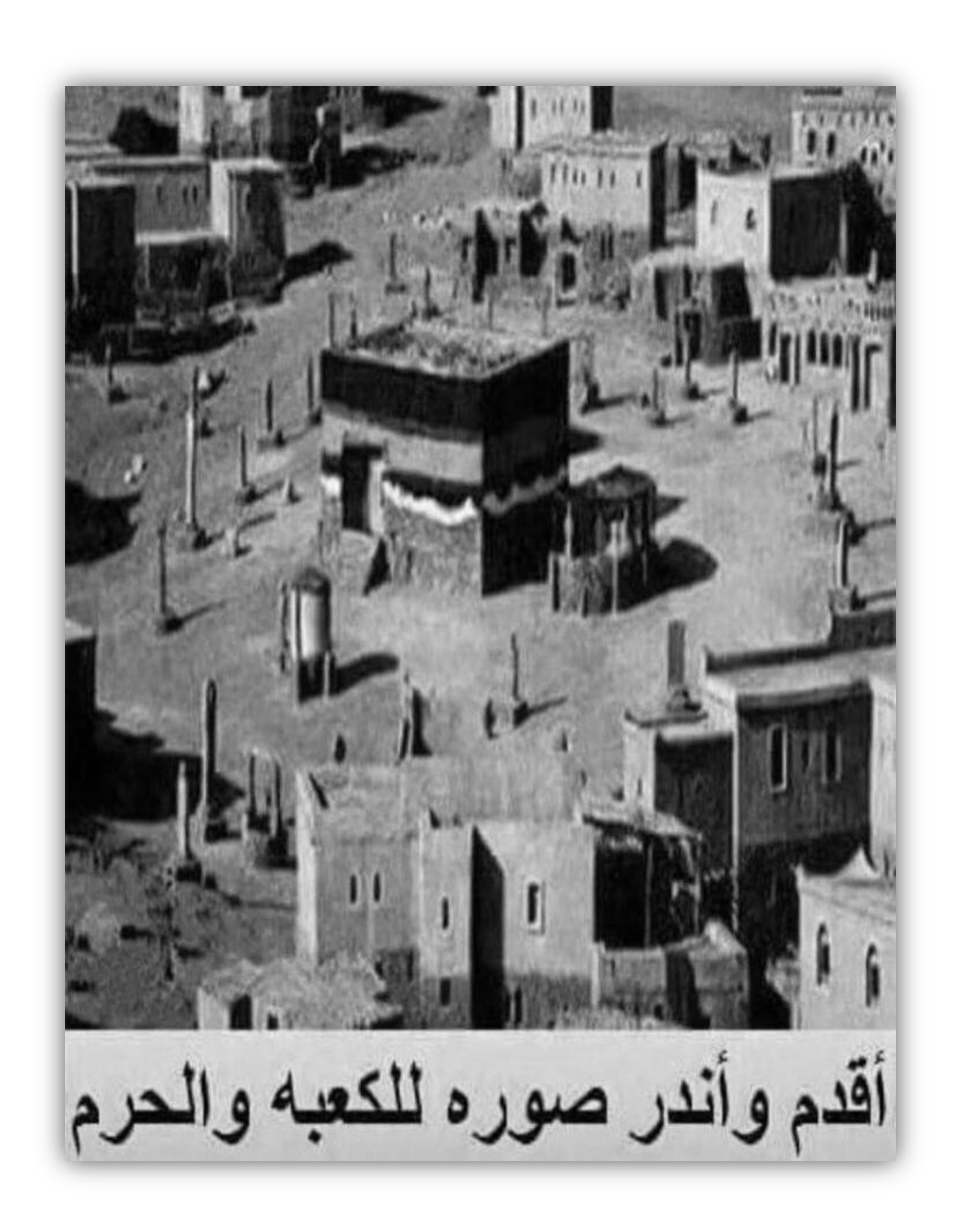


الحجاج المغاربة المستفيدون من مبادرة "طريق مكة"

يصلون إلى المدينة المنورة

الملحق الثاني:

صور نادرة عن مكة وتطور عمرانها عبر قرون من الزمن



أقدم وأندر صوره للكعبه والحرم



حاملوا الشيوخ والحواج والعجزة بمكة عبر تاريخ طويل على الخشب

قبل تعويضهم بحاملات ذات عجلات مريحة

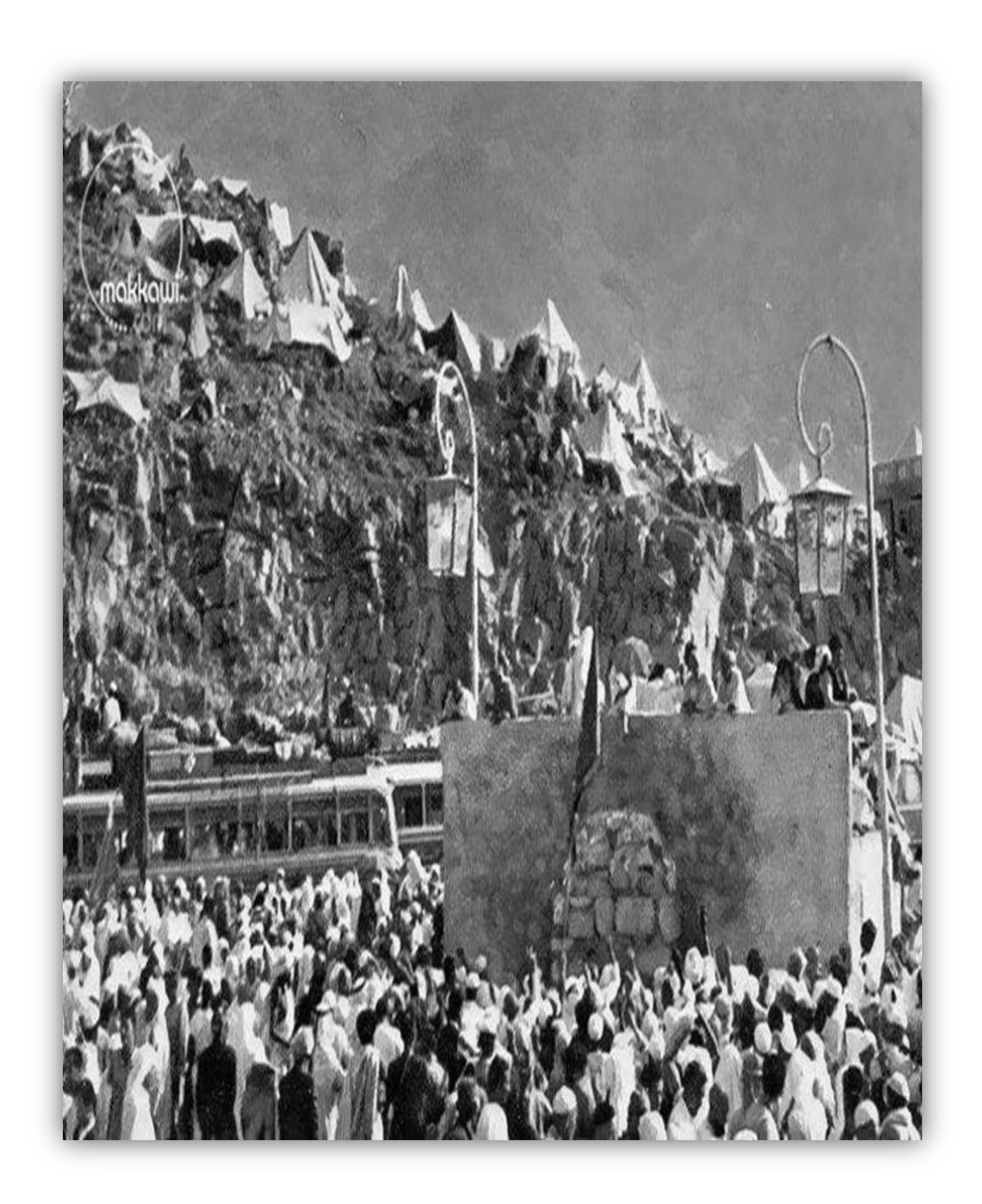
رحلة الحاج عام 1356 هـ 1938م ويبدو في الصور مجموعة من الرجال والنساء أمام

بعض أبواب مكة التاريخية

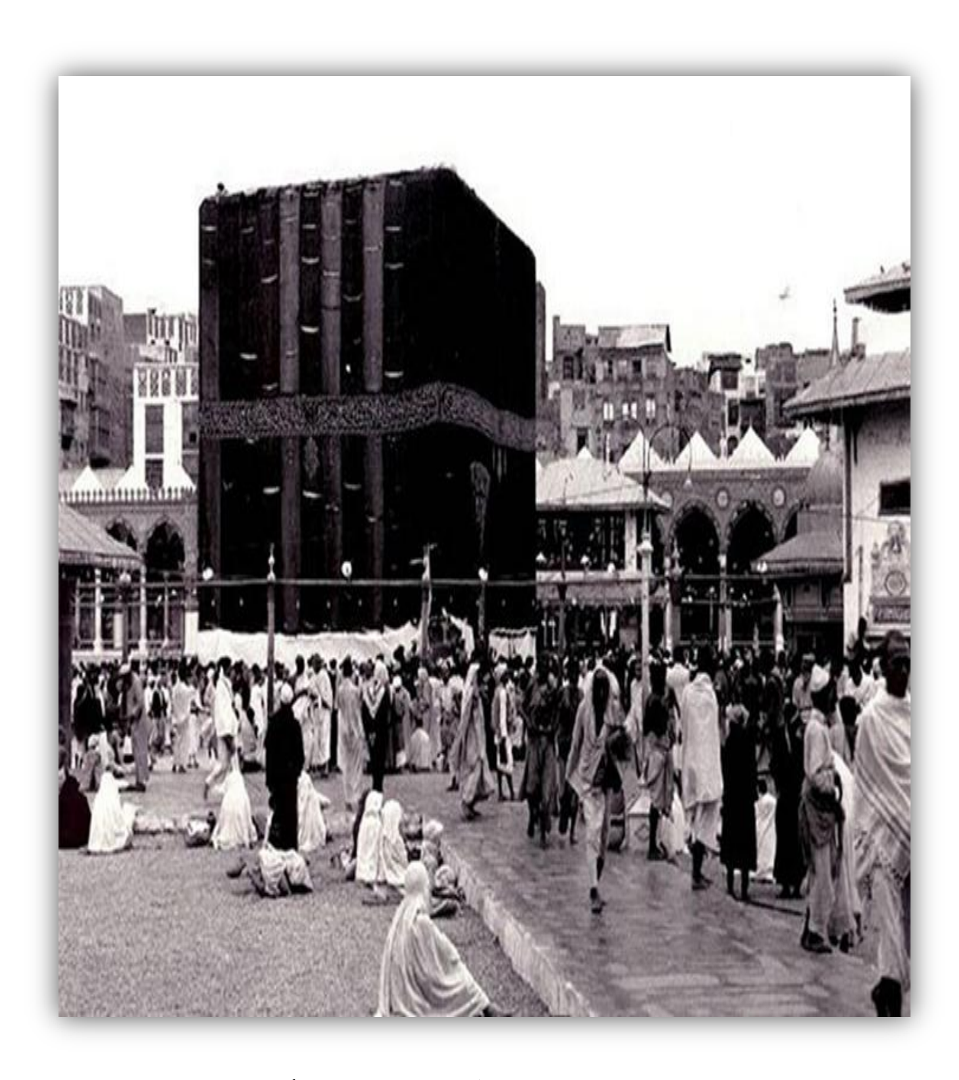


رحلة الحاج عام 1356 هـ 1938م ويبدو في الصور مجموعة من الرجال والنساء أمام

بعض أبواب مكة التاريخية

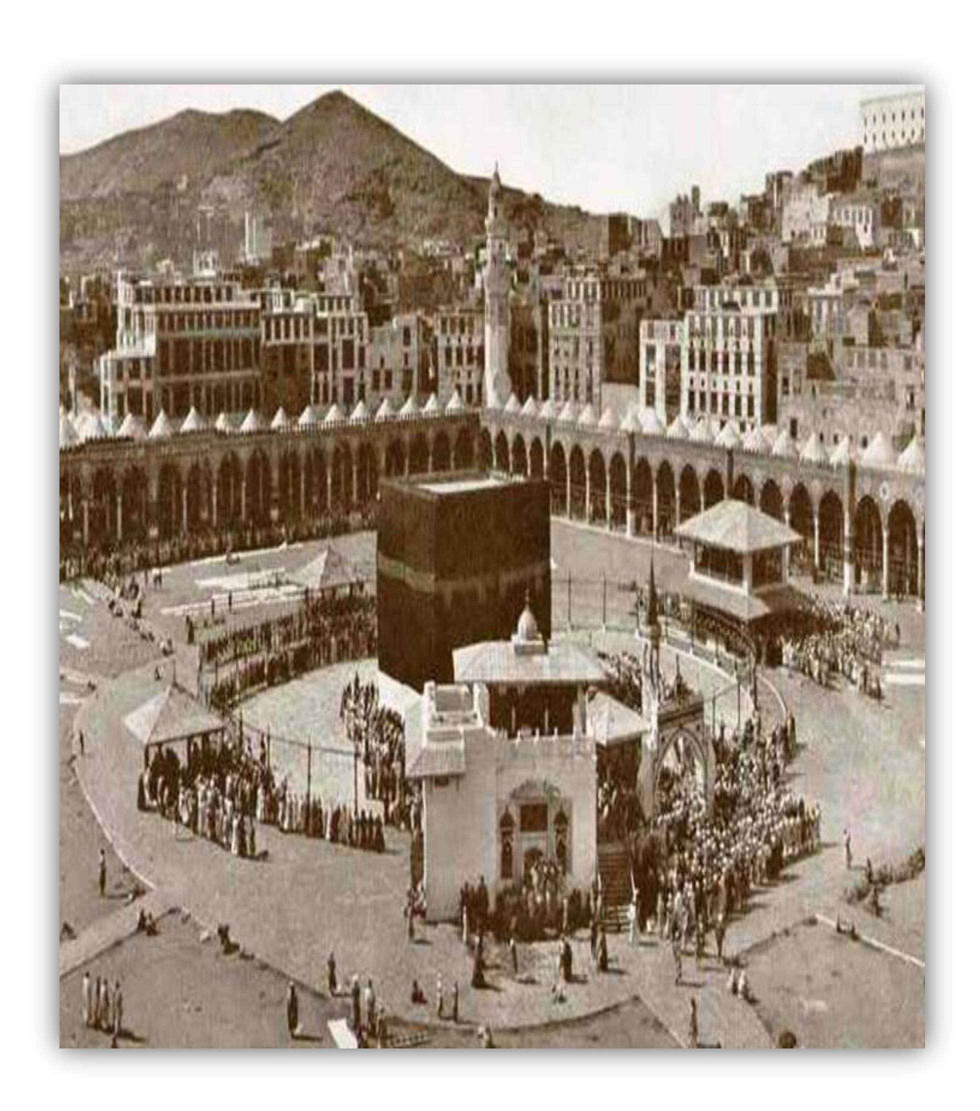


صورة من صور رمي الجمرات بمنى



صورة تاريخية تبدو فيها الكعبة مشمرة من أسفل

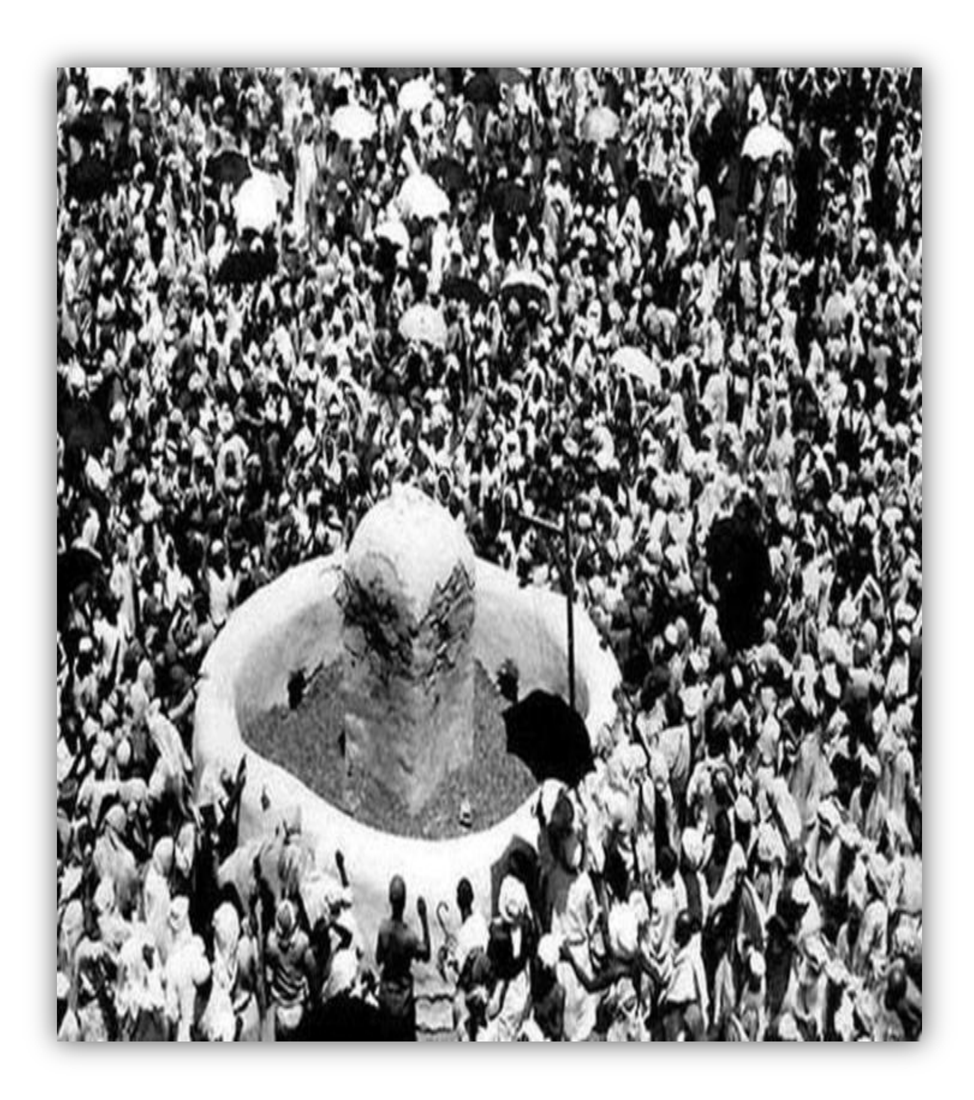
استعدادا لاستبدال كسوتها



منظر شامل لمكة وعماراتها وجبالها كما كانت منذ زمن طويل

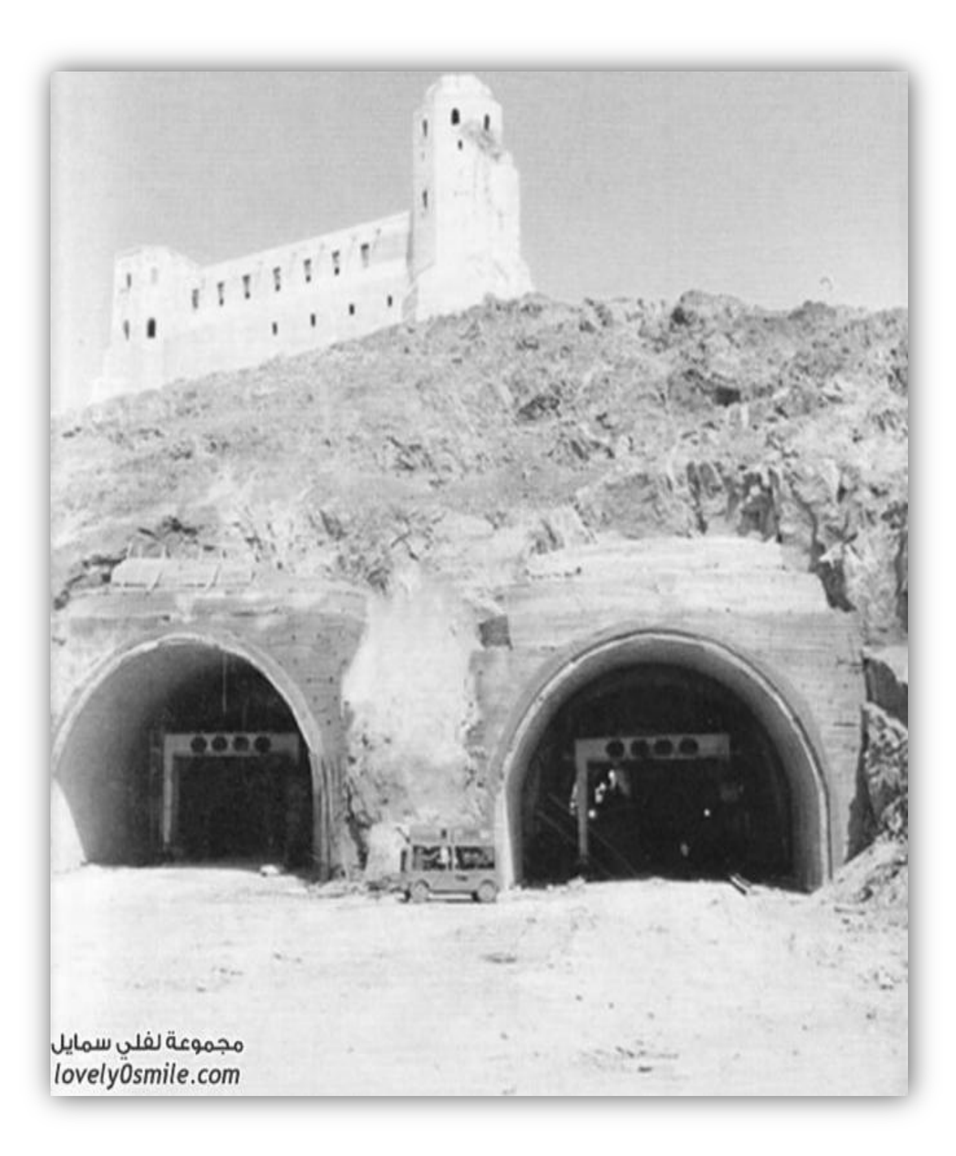


صورة تاريخية لنزول وفد الحجاج بجدة محرمين من البحر عبر البواخر



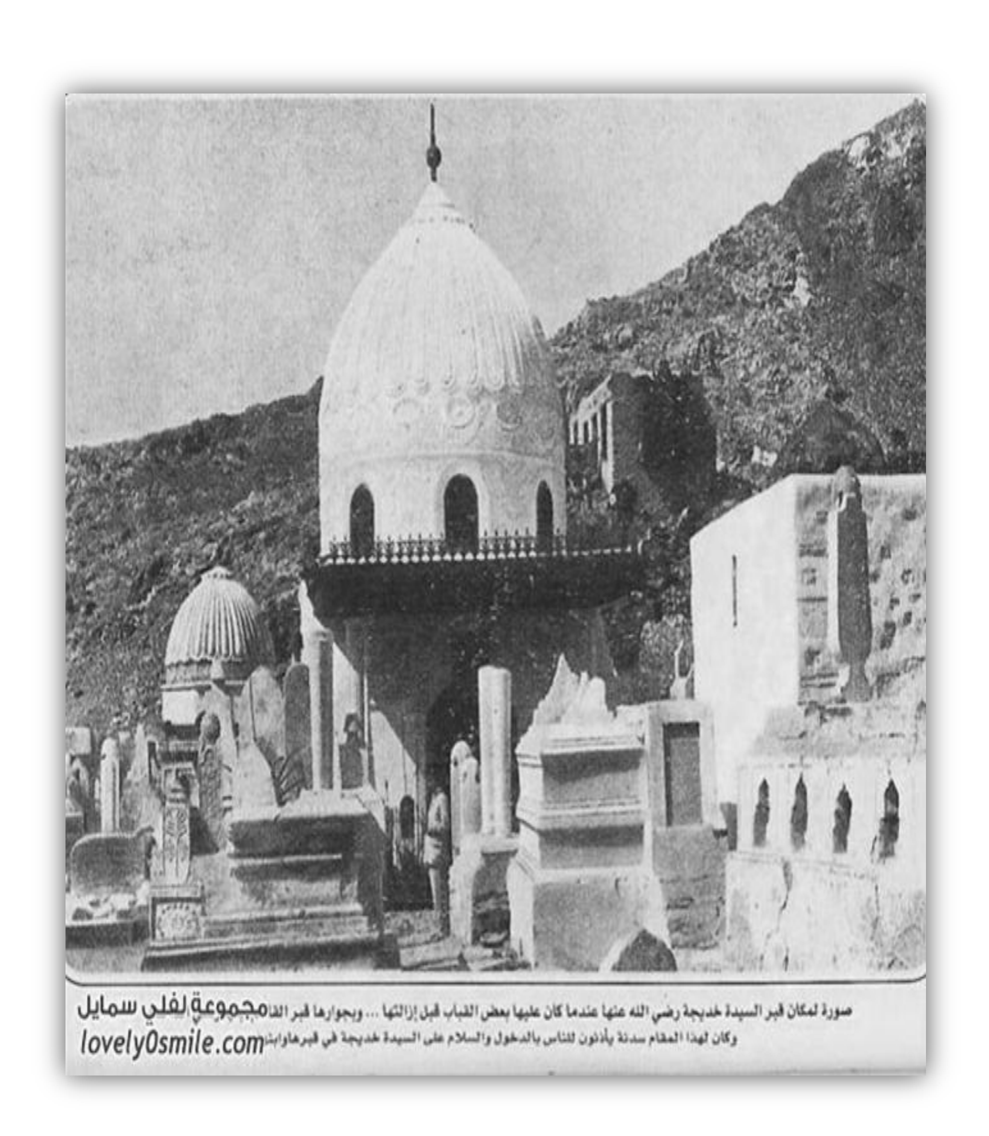
إحدى الجمرات مطوقة بالرماة المزدحمين

كما كانت منذ سنوات قبل الاصلاحات المتتالية



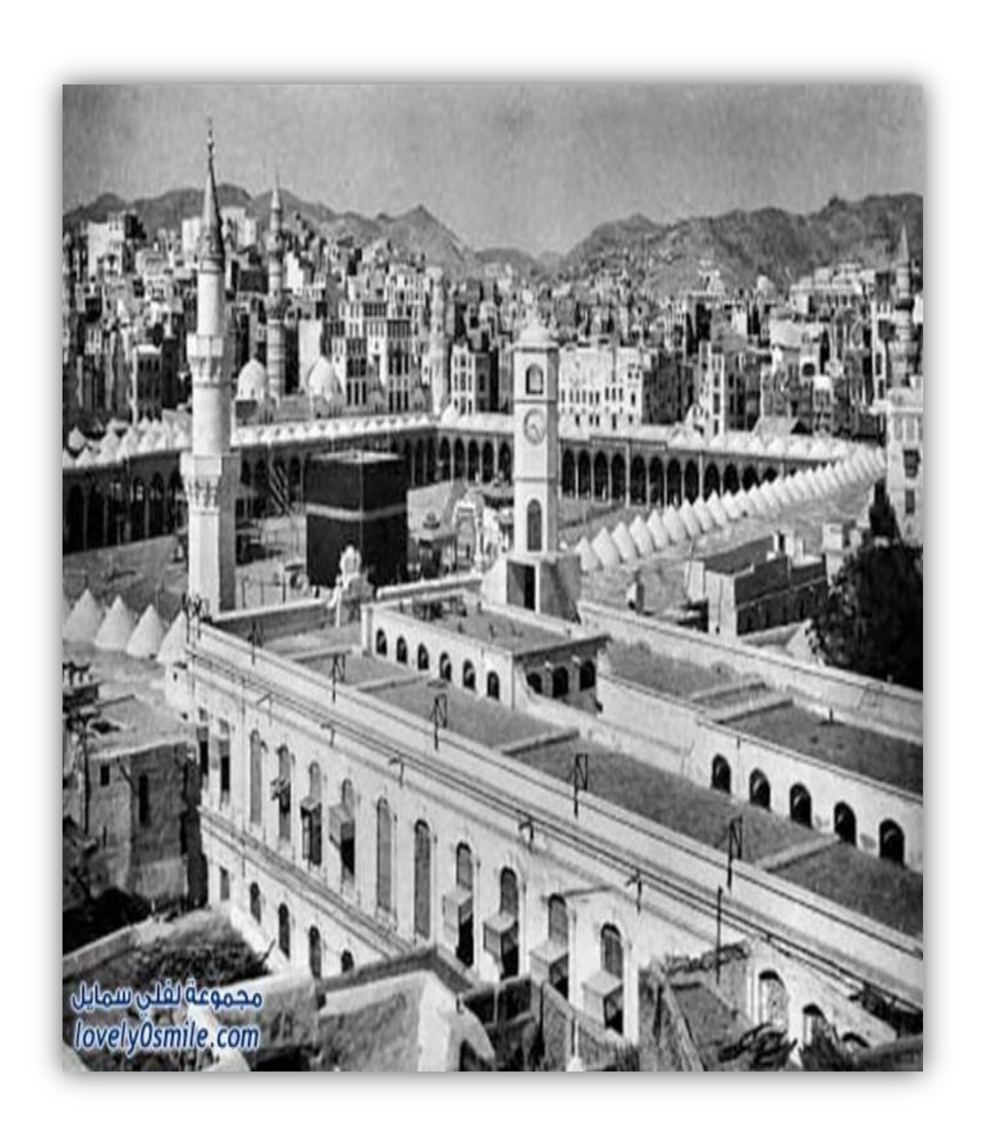
بعض أنفاق مكة العديدة والمخترقة لمحيط مكة

وفوقها تبدو قلعة جرول التاريخية

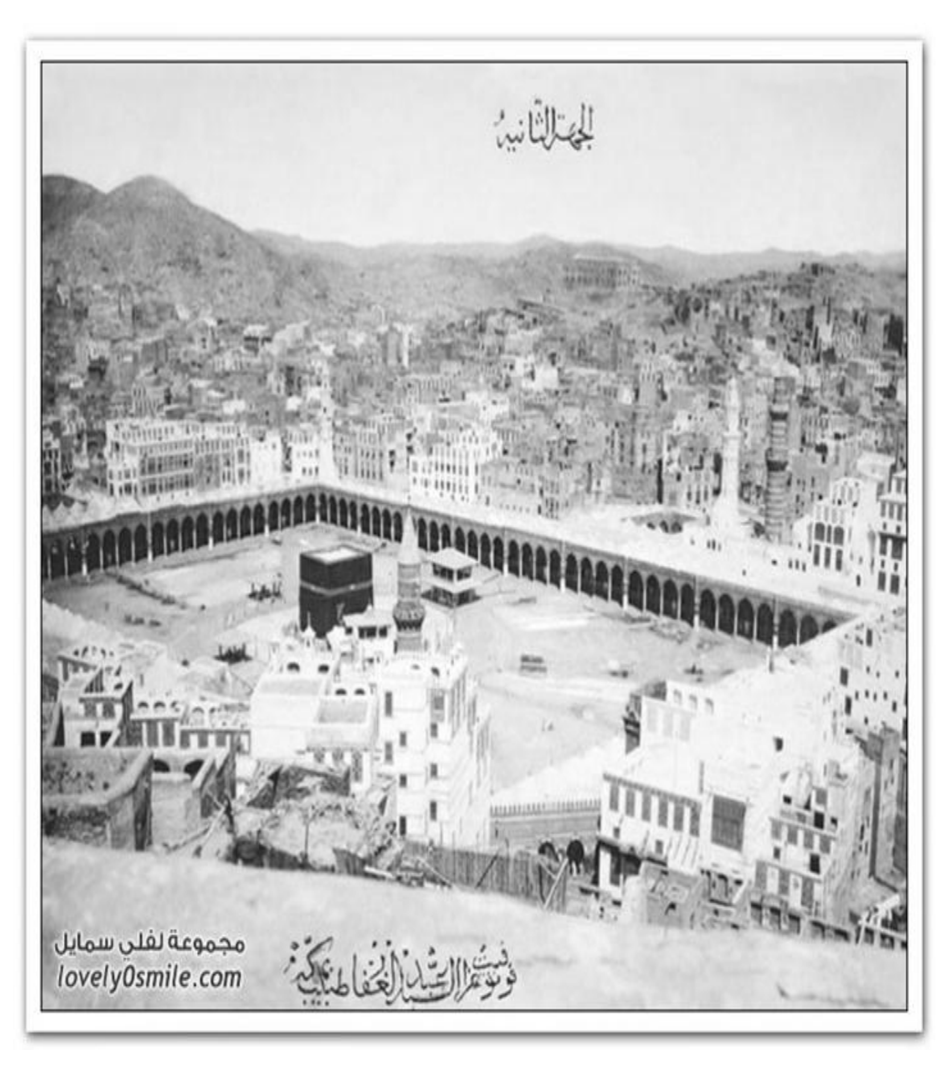


صورة تاريخية من مقبرة المعلاة في الطريق إلى منى

إحدى مزارات الحاج المغربي سابقا

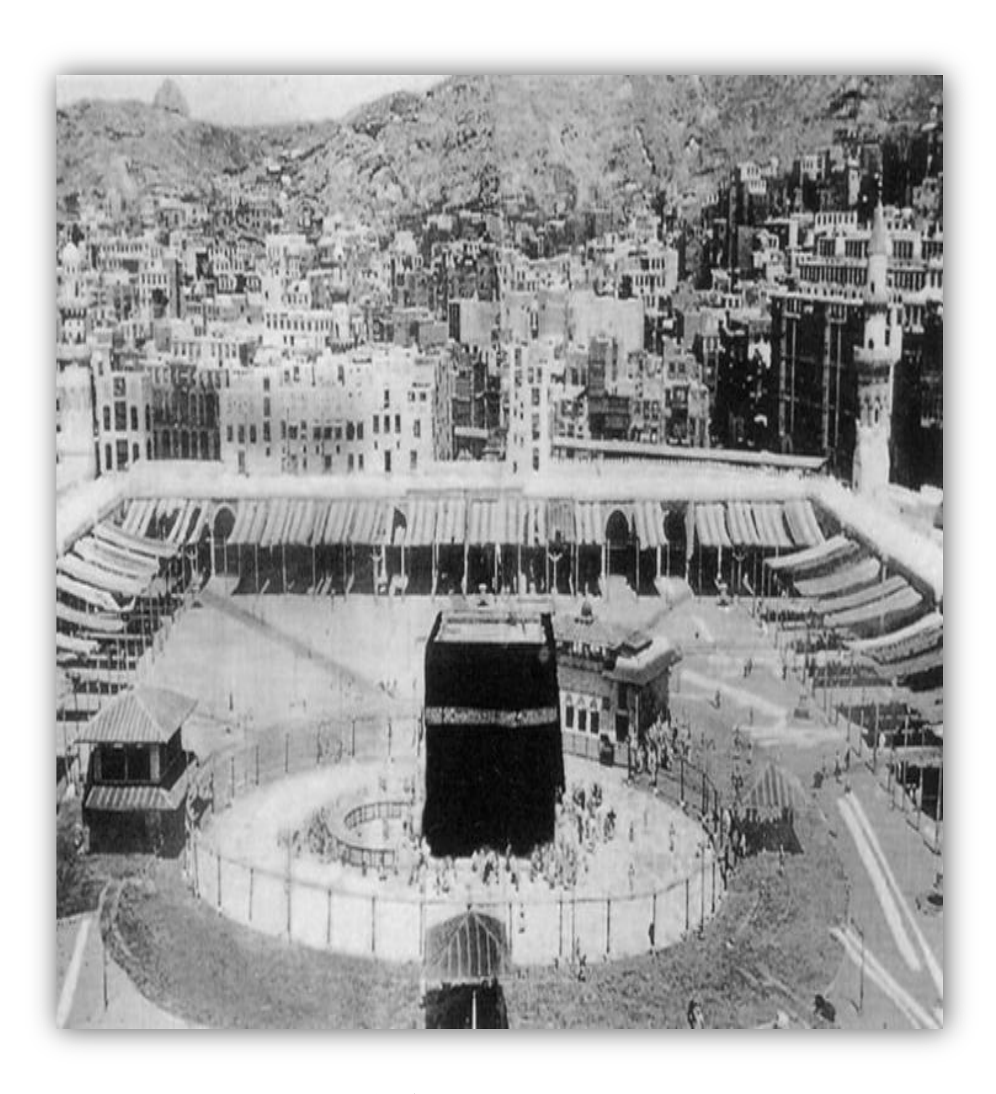


إحدى الصور التاريخية للبيت وما حوله



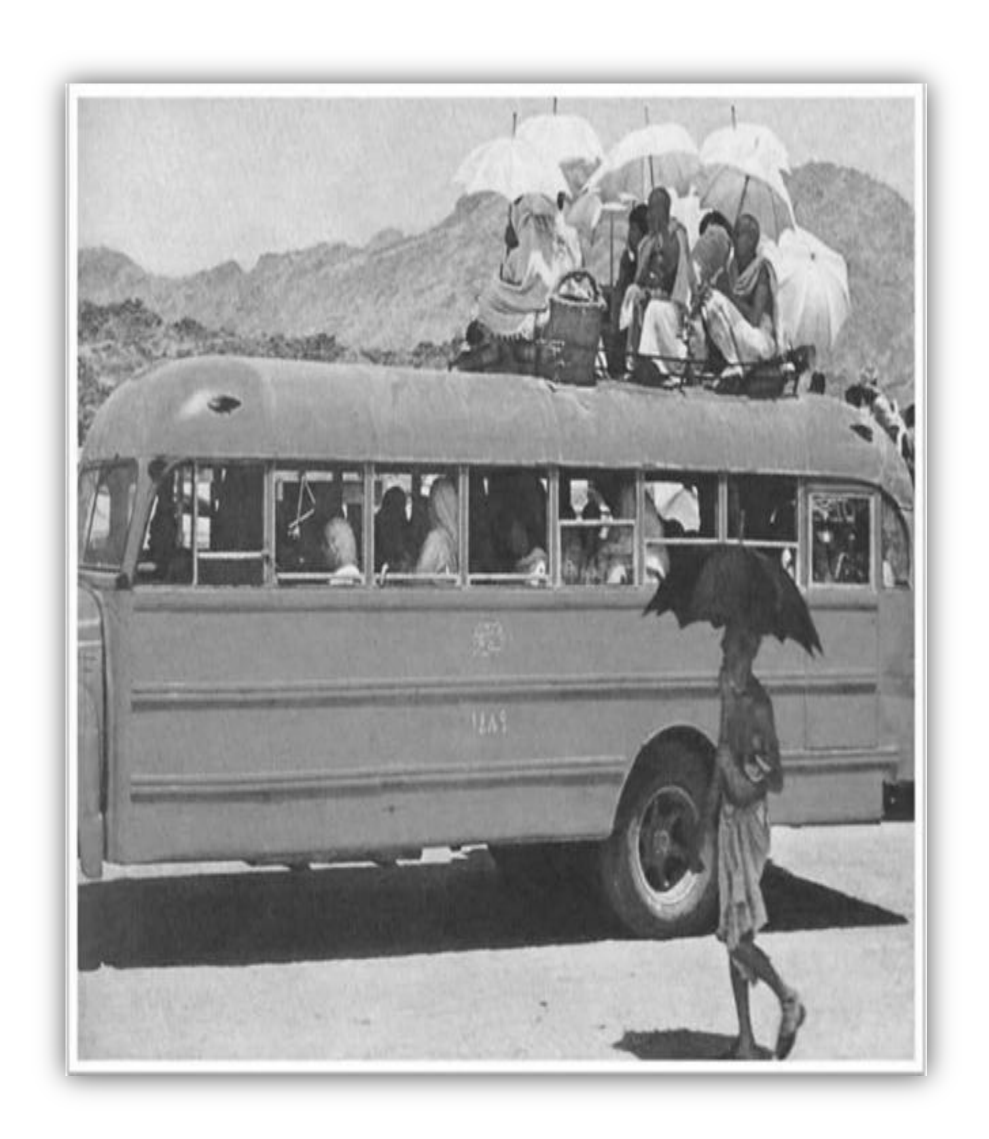
لقطة نادرة للحرم والبيت وما حولهما وقد كتب عليها :

"فوتوغرافية السيد عبد الغفار طبيب بمكة"

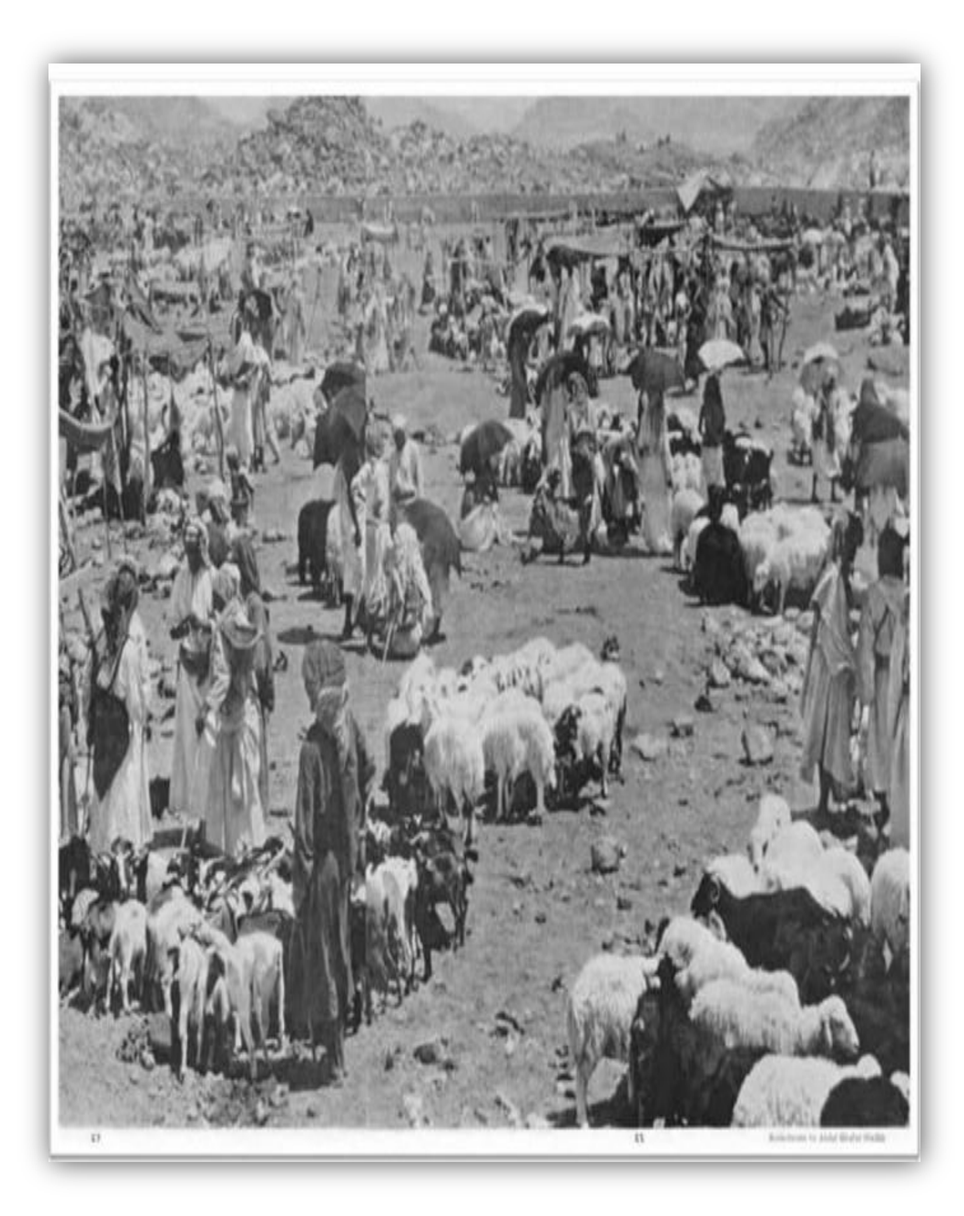


صورة تاريخية يبدو فيها ما حول المطاف

مظللا بإضافات للوقاية من الحرارة

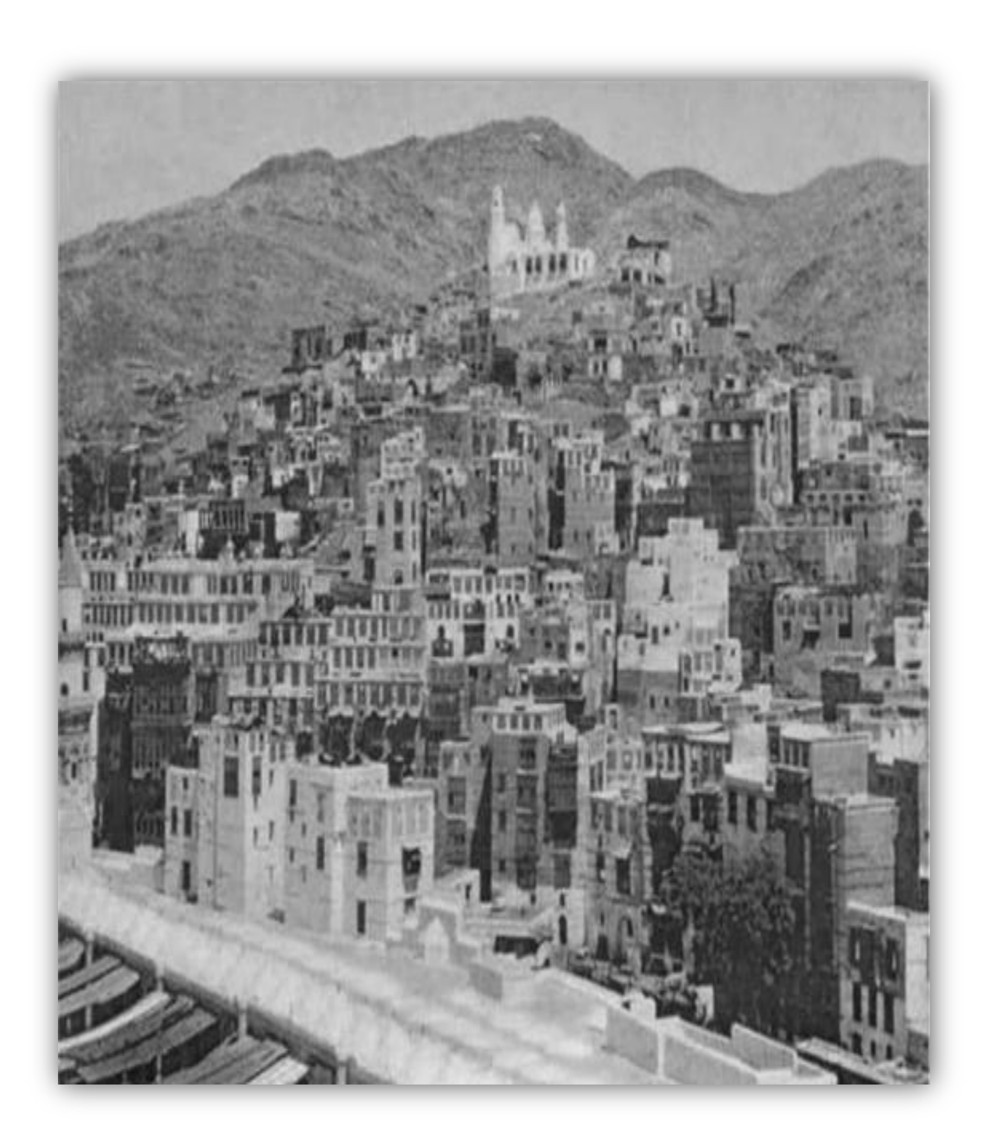


حجاج البر في بداية القرن الماضي بعد الاستغناء عن الدواب

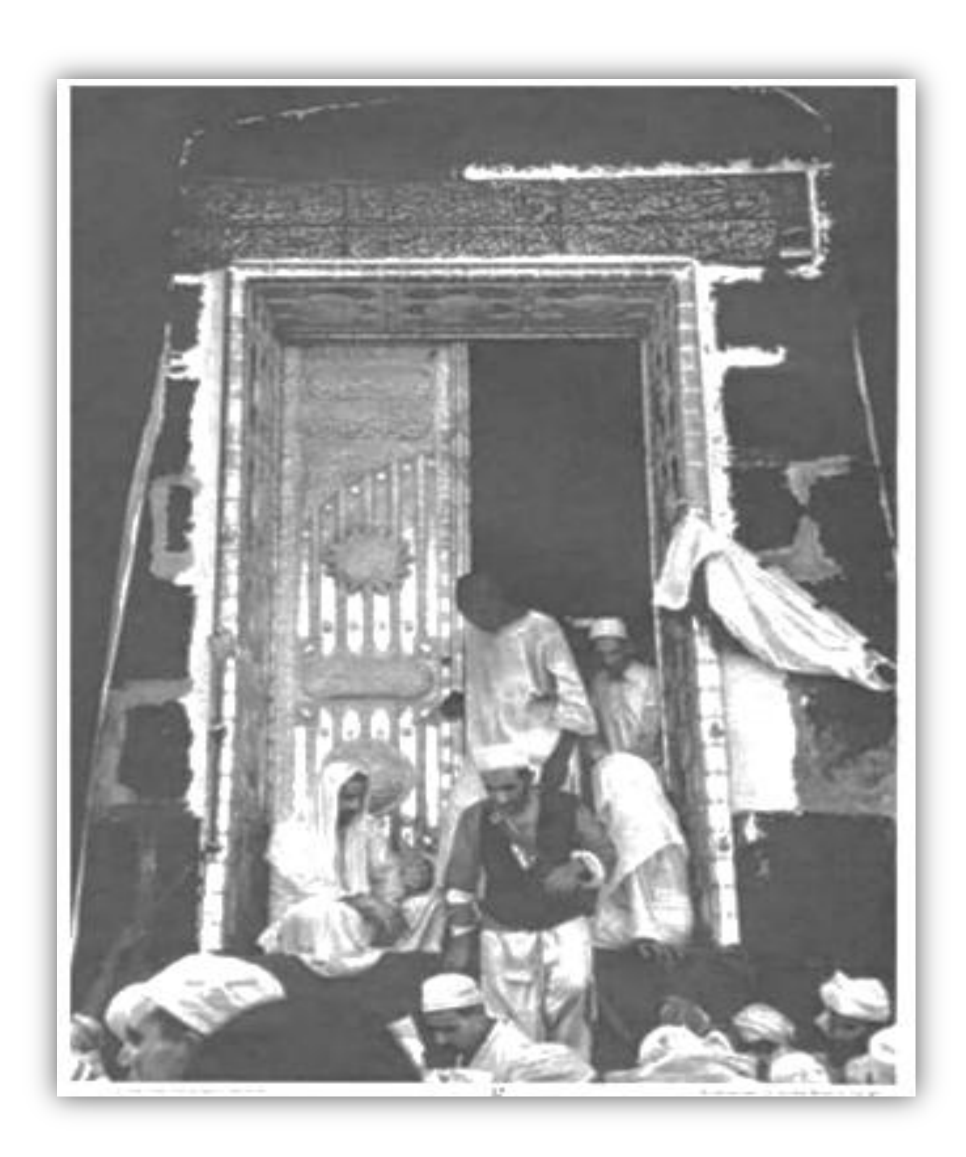


سوق الأضاحي بضواحي مكة قديما وأحيانا قرب الحرم يوم الجمعة

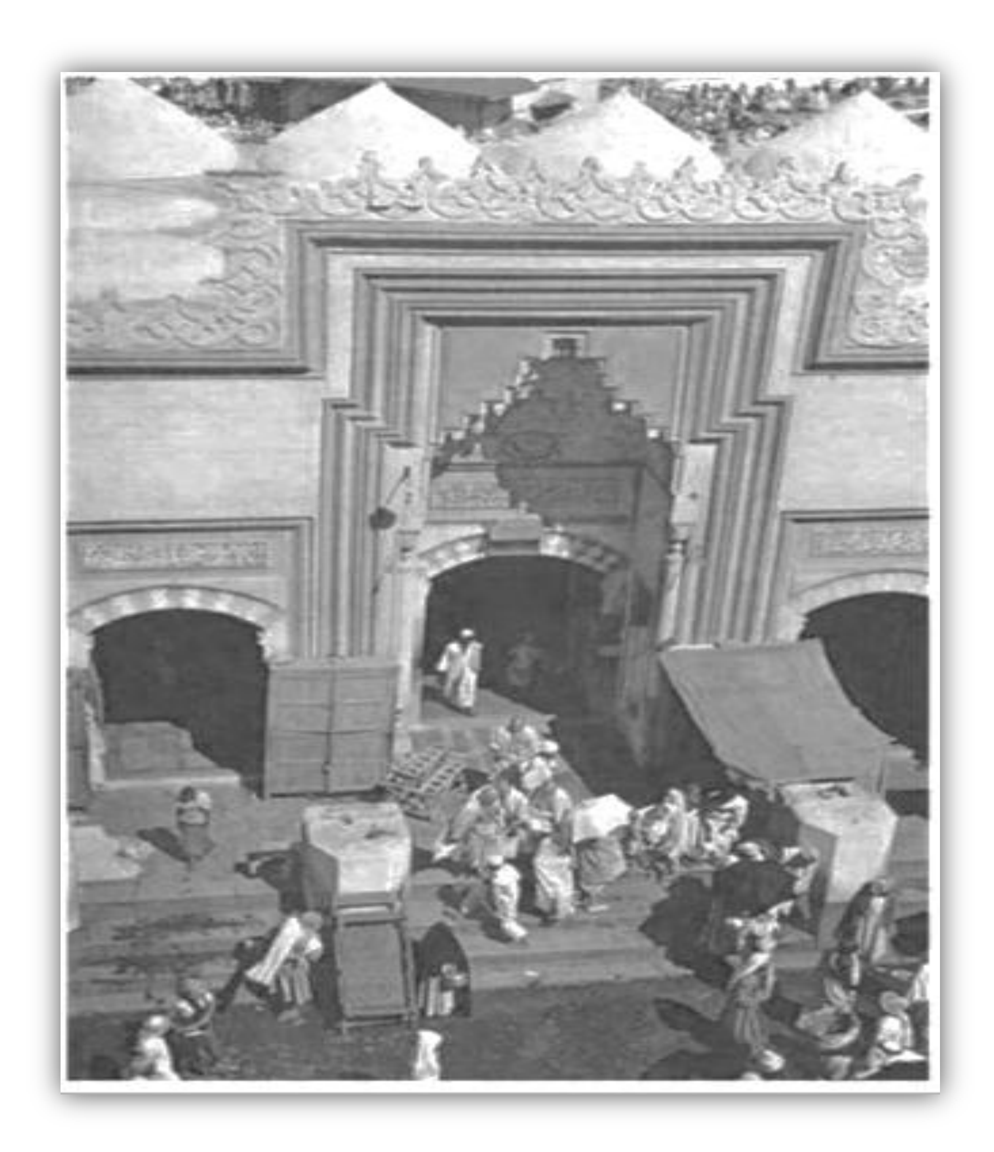
لنحر الهدي بمكة



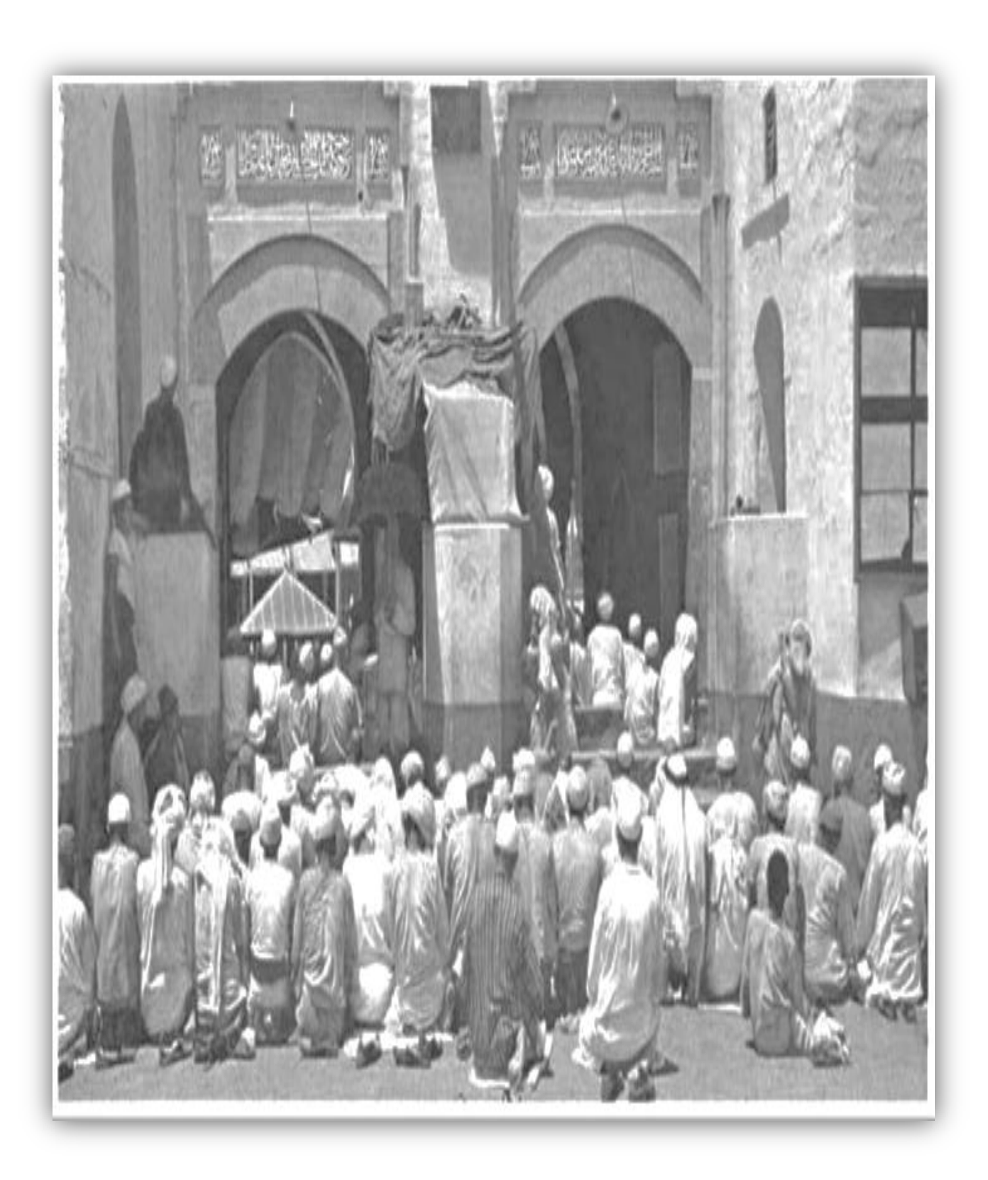
المباني المحيطة بالحرم المكي



باب الكعبة ويبدو أنه كان مفتوحا أمام زوار الحرم أو عند تجديد الأبواب



باب من أبواب الدخول إلى الحرم المكي قديما



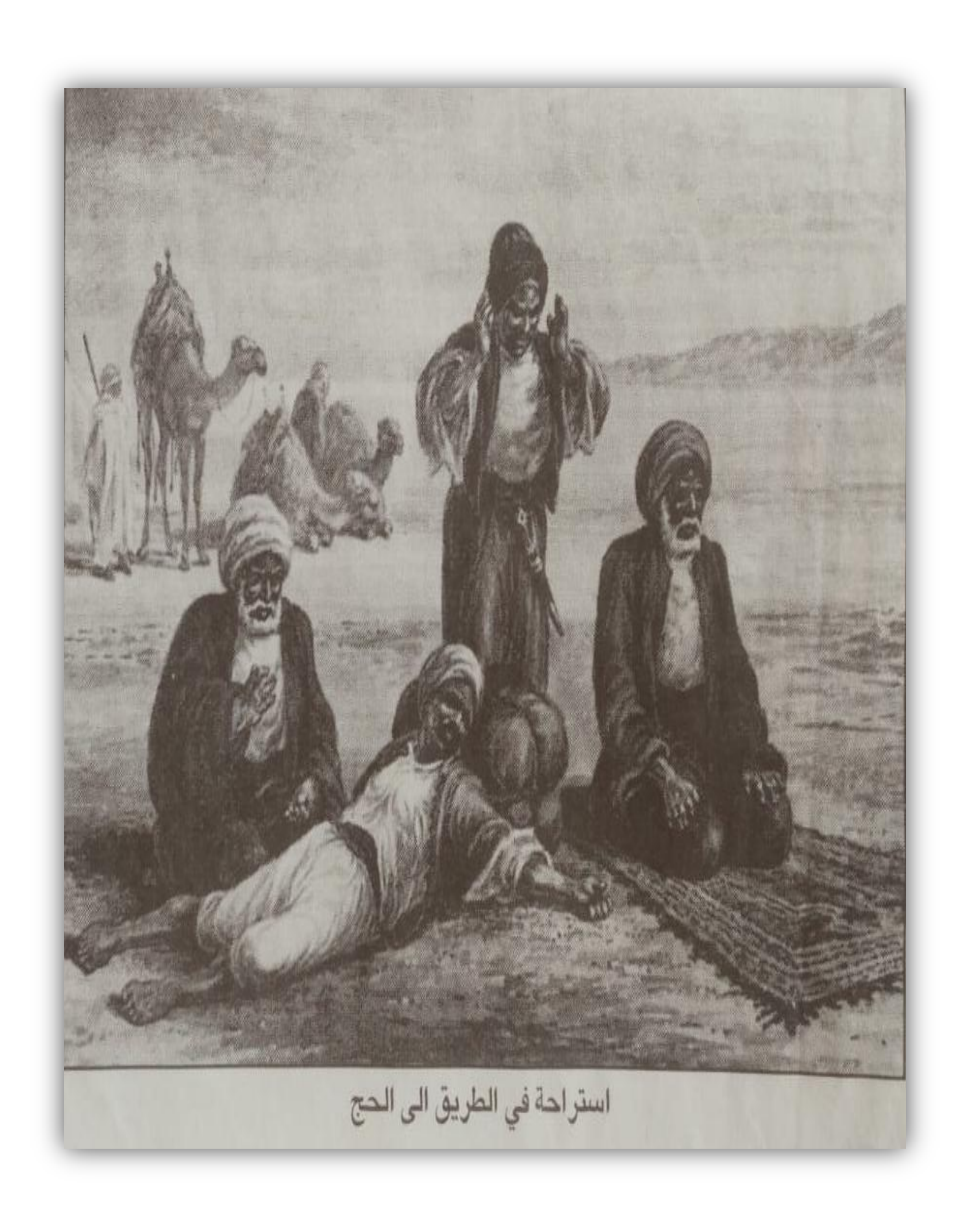
صورة تاريخة للصلاة خارج الحرم وقت الزحام



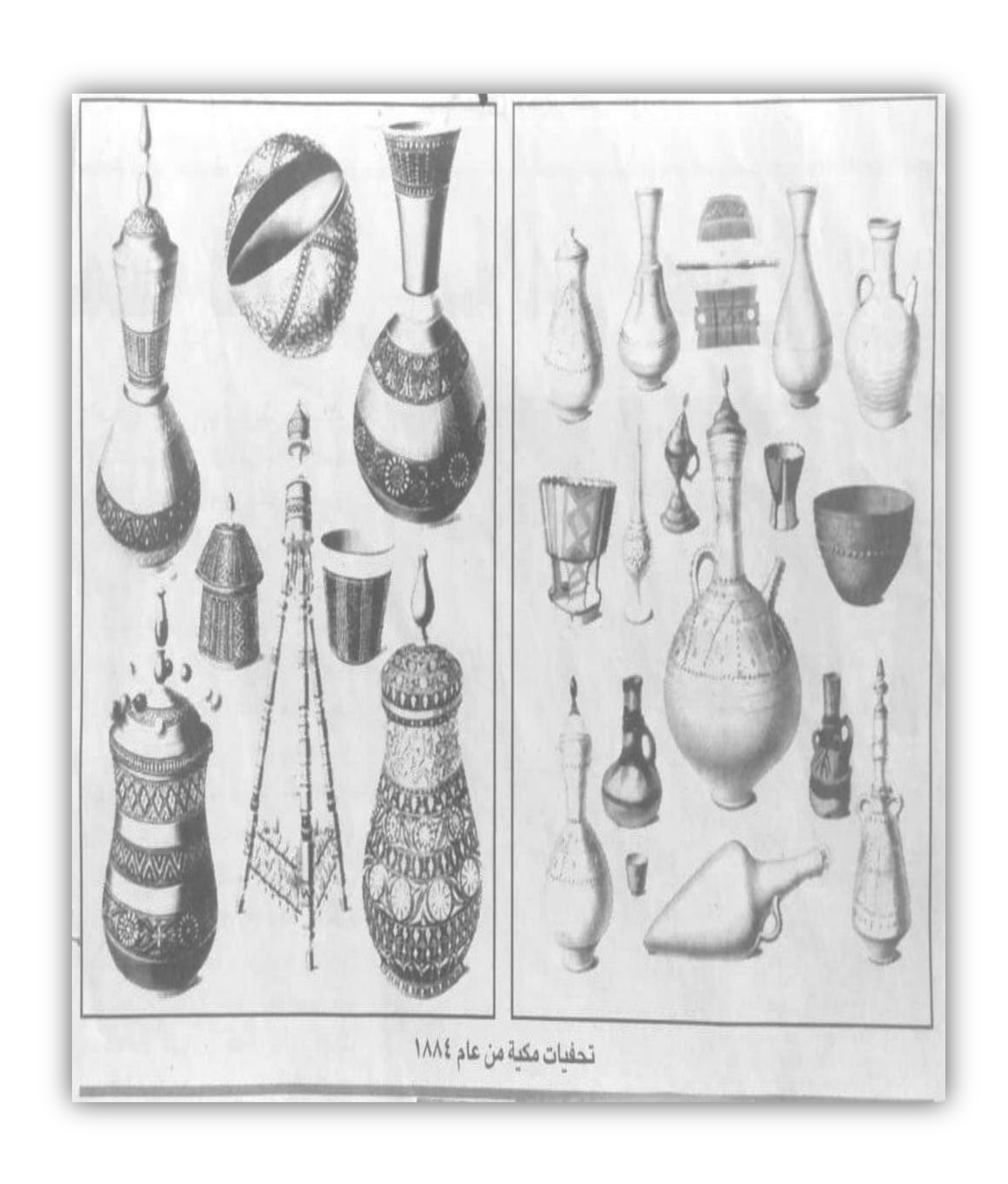
من حراس الكعبة من بني شيبة



من أبناء حراس الكعبة



استراحة في الطريق الى الحج



تحفيات مكية من عام ١٨٨٤



فرقة الطبلة في مكة - طباعة على الحجر (حزام الرجل الذي في الوسط مرصع بحافر حمار)

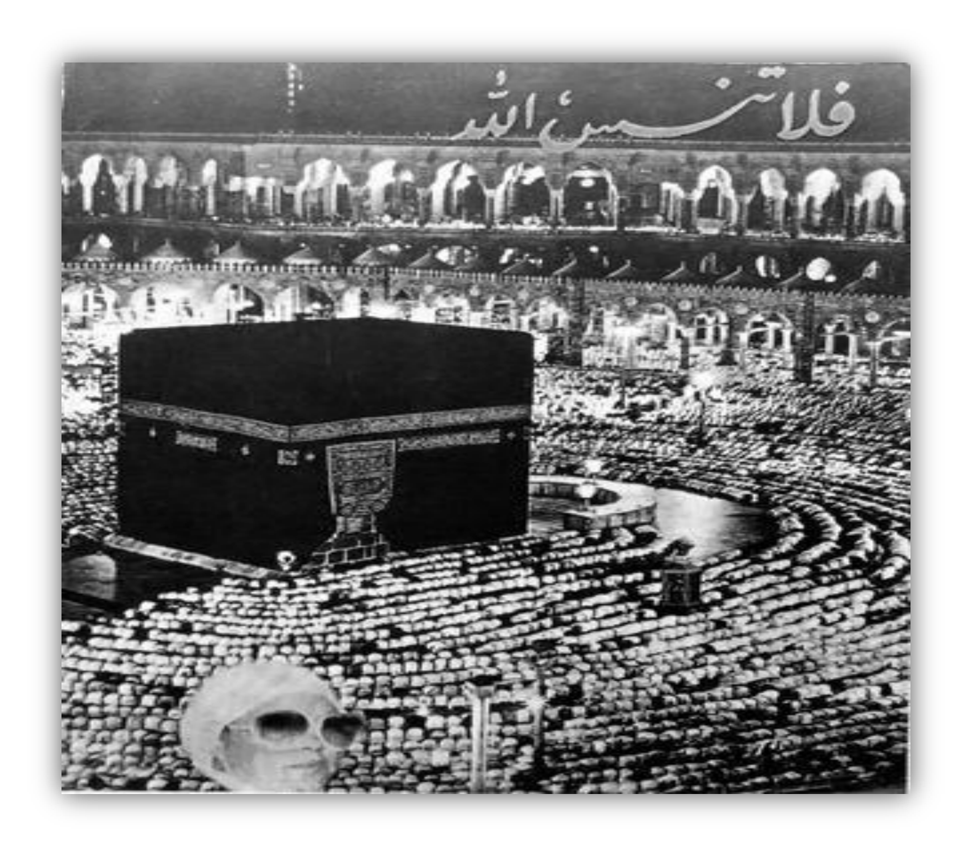


بياع الحلوى في أحد أسواق مكة

الملحق الثالث:

نساء تتناولن الحج وتجربة المرأة المغربية وتحولاتها عبر رحلة الحج والعمرة

معجزة عاشتها ليلى الحلو



تجربة ليلى الحلو من الدار البيضاء "فلا تنس الله"

كاتبة مغربية صاحبة رواية عن تجربتها واستشفائها بماء زمزم بعد أن رأت رسول الله ﷺ فلمس محل دائها خلال سنة 1987 وهي أول امرأة مسلمة اضطرت لوصف جسد المرأة الضعيف عندما يكون في أقصى درجات حدود الحياة والموت وهي إحدى الكاتبات في العالم وسعت حدود النظرة إلى جسد المرأة في حدوده الموضوعية حيث تخرج الضرورة إلى وصف تلك الحدود

زكية زوانات من المغرب عاشقة الأولياء



زكية زوانات المريدة المؤلفة بالفرنسية في التصوف المغربي وبعض أسرار الحج وعاشت تجربة روحية على يد الشيخ حمزة ابن عباس فاهتدت إلى كنز من كنوز المغرب العميق في شخصية صانع الأولياء في المشرق والمغرب دفين جبل العلم المولى عبد السلام بن مشيش وقبل ذلك سافرت إلى صوفية الهند والتقت مع صوفي فرنسي مسلم هو روني كينون فكتبت موسوعتها الضخمة مملكة الأولياء وقدمتها إلى الملك المغربي محمد السادس وأنشأت مجلة بطبعتين بعنوان: (إحسان كمال الانسان) وكان أول أعدادها عن الحج ومعانيه في الإسلام والديانات السماوية وغيرها قبل إصابتها بنفس الداء العضال الذي أصيبت به سابقتها ليلى الحلو.

مليكة الصوايني المراكشية مرافقة المعتمر والحاج المغربي في سلك الوكالات



مليكة الصوايني المتحدثة عن تجربتها في خدمة الحجاج والحواج والمعتمرين تقول : ومن كرم الله علي أنني عندما استعانت بي إحدى الوكالات بمراكش لتأطير الحجاج والمعتمرين لم أكتف بذلك بل أسبغت عليهم من أودية العطف والرعاية والمحبة ما يتجاوز مهمتي في أمراضهم ومتاهاتهم ومشكلاتهم الشخصية ومواكبة حافلاتهم ومساعدة السائق على سلوك الطريق المناسب شاعرة بالسعادة وأنا أطوف بهم وأسعى وأسقيهم وأقف بهم بعرفة وأنزلهم بالمزدلفة صبورة على التعب والجوع وقلة النوم أطلب الرضى والقبول بهذه الخدمات من الله عز وجل.

رفيقة الطريق إلى الحرمين خديجة الأدوزي السوسية



خديجة الأدوزي المتحدثة عن نفسها في هذه النبذة:

عرفت الشاب محمد البايك منذ أن كان في أطوار الفتوة مترددا على والدي وإخوتي في دارنا بظاهر قرية العوينة (سيدي عبد الله أومحمد) المشرفة على القرية مسقط رأسه، وكتب الله لنا اللقاء بعد سنوات، وأنجبنا معا منحا ربانية من أبناء وبنات هم: زينب وواصل وعبد الله وهشام، وقطعنا سنوات بمراكش ودار الحديث الحسنية بالرباط وسوس، وواكبته في الشدة والرخاء، وصحبته في رحلاتنا إلى تركيا ودبي

والأردن والقدس ومكة والمدينة بحمد الله، وهو الآن يعد هاته الهدية إلى مكة محبوبته وقبلته في عشر حجات وعمرات ويخاطبها شعرا ونترا ويطوف بها طواف الهائم المستهام.

وها نحن ننجز هدية إليها بهذا العمل المشترك في إعداده مجموعة من رجال المغرب ونسائه المشتاقات إلى تلك الربوع وإن منعتهن قديما المشقات وأمواج البحار وآفات الطريق، ثم مهد الله لهن الفضاء والطيران في أقل من ربع يوم، فطُفن وسعين ووقفن ورمين وأسَلْن الدموع في تلك الربوع، وخدمن الأزواج والرفاق وأنفقن ما يسر الله لهن وأهدين للحرمين نفائس من مشغولاتهن عبر تاريخ طويل، وبعثن الهدايا والمصُوغات إذا لم تسعفهن الظروف والآفات وصحبن الأزواج والرفاق في حالات الصحة والمرض والنشاط والعجز، رجاء أن يثيبهن الله بالجزاء الأوفى.

وها هو هذا العمل الذي واكبته وليدا وطفلا ثم يافعا وشابا مكتملا يخرج للقراء في أثواب من الديباج المذهب والحرير الأسود ثوب الكعبة عبر التاريخ مطرزا بأخبار المغاربة والمغربيات الذين تهوي إلى تلك الآيات البينات والمعالم أفئدتهم، فيضربون أكباد الإبل وسروج الدواب ومقاذيف السفن وأجنحة الطائرات لتسير بهم الشعاب والطرقات والبحار سيلا منصبا إلى أواسط جبال فاران عند بيت أمهم الأولى وأبيهم الأول عليهما السلام وأحفادهما البناة إحياء لما انقطع ووصلا لما اندثر إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وفي كل من الغلاف الخارجي والإطلالة الاولى وداخل الكتاب صور الملوك الشرفاء الثلاثة الينبوعيي الأصول الحجازيي الملامح محمد الخامس والحسن الثاني ومحمد السادس أبطال التحرير والوحدة والعمران .



المؤلف ورفيقة الطريق قرب المسجد الحرام مع بعض أطعمة مكة المباركة



المؤلف وحرمه في خلفية بعض أبواب الحرم المكي

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، رواية ورش.
- الأزرقي أبو الوليد الغساني المكي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح رشدي الصالح ملحس.
- الألوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1/ 1415هـ.
- أوريد حسن، رواء مكة .
- البكري الصديقي محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم الشافعي (ت 1057هـ)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، عناية خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط4/ 1425هـ – 2004م.
- الطبراني (ت 360هـ):
  - المعجم الأوسط، تح طارق بن عوض الله، دار الحرمين . القاهرة، ط/ بدون.
  - المعجم الكبير، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية . القاهرة، ط2/ بدون.
- المنذري عبد العظيم (ت): صحيح الترغيب والترهيب.
- مسلم، صحيحه.
- الغازي، إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام، مخطوط.
- شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره، محمد رياض.
- صفحات من تاريخ مكة المكرمة، مج2، ص401، تأليف ك. سنوك هور خورونيه، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مركز تاريخ مكة المكرمة، ط2 (ط1/ 1419هـ . 1999م).
- المجلة العربية، عدد جمادى 1416هـ.
- سي. سنوك هيرجرونجي، مكة في أوائل القرن 14هـ/ 19م، ترجمة صبري محمد، مراجعة وتقديم جمال زكريا قاسم، المركز القومي للترجمة . القاهرة، ع1157، ط1/ 2007.

- عبد الهادي التازي، رحلة الرحلات: مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي . الرياض، ط1/ 1426هـ . 2005م.
- رحلة الرحلات، عبد الهادي التازي.
- ورقات عن حضارة المرينيين، المنوني محمد، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996م.
- تتمة المختصر في أخبار البشر.
- الاستقصاء، للناصري.
- الحوالة العباسية، مخطوط رقم 11، قسم الوثائق والمحفوظات بالخزانة العامة بالرباط.
- تاريخ تطوان، محمد داوود، ط معهد الحسن بن المهدي . تطوان/ المغرب.
- ركب الحاج المغربي، محمد المنوني، معهد مولاي الحسن . تطوان، ط/ 1953م.
- رحلة القاصدين ورغبة الزائرين، مخطوط . خ الحسنية بالرباط، رقم 5056.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي، ط مؤسسة الرسالة، ط/ 1406هـ.
- الطائف ومؤرخوه، حمد الجاسر، مجلة العرب، ع2/ س2، شعبان 1387هـ.
- أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول بالمملكة العربية السعودية بجامعة أم القرى سنة 1422هـ، حسن الوراكلي (أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى وعبد المالك السعدي بتطوان).
- أخبار مكة المشرفة، السباعي.
- الاستقصاء للناصري في أجزائه الأخيرة.
- كتب ابن زيدان نقيب شرفاء مكناس.
- موسوعة المغرب.
- الجيش العرمرم لأكنسوس.
- موقع شبكة الألوكة الثقافية (alukah) على الأنترنت ، مقال: ابن العربي: القاضي الفقيه والرحالة الأديب، وائل عزت معوض، تاريخ الإضافة: 18/ 08/ 1430هـ . 10/ 08/ 2009م، تاريخ الزيارة: 07/ 07/ 1444هـ . 29/ 01/ 2023هـ، س 13، د41.
- مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب الإنساني . بيروت، ط1/ 1926م.
- العواصم من القواصم، تح محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط/ 1375هـ.

- علي تاج الدين السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة وولاة الحرم، أعد الكتاب الدكتور جميل عبد الله محمد المصري وآخرون، جامعة أم القرى . مكة، 1419هـ/ 1998م.
- (شفاء السائل) لابن خلدون.
- ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي، ضبط وتنسيق وتعليق أحمد شوقي بين بين مدير الخزانة الملكية (قافية الراء الممدودة).
- رحلة عمر، محمد عبد الحميد مرداد، شركة الفرقان للتراث الإسلامي . جدة، ط2/ 1440هـ . 2019م.
- مجلة الواضحة المغربية، مقال: الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة . مجاور المغرب الأقصى نموذجا، مولاي الحسين الحيان، دار الحديث الحسنية، مطبعة الأمنية . الرباط، ط/ 2021م.
- موقع الشريف إيهاب التركي الشاذلي الإدريسي على النت ehab-alturki@twiter.

فهرس الموضوعات



صورة نادرة للملك محمد السادس وهو يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد والوفد المرافق